
القافلة
شوال ١٤٠٨هـ - مايو/يونيو ١٩٨٨م
حلب الشهباء... مدينة الحضارات

بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة

THE CARAVAN-MAY/JUNE 1988

شوال ١٤٠٨هـ - مايو/ يونيو ١٩٨٨م
العدد العاشر - المجلد السادس والثلاثون

مجلة ثقافية
تصدر شهرياً عن شركة أرامكو لموظفيها
إدارة العلاقات العامة

توزع مجاناً

المدير العام: فيصل محمد البسام
المدير المسؤول: اسماعيل ابراهيم نواب
رئيس التحرير: عبدالله حسين الغامدي
المحرر المساعد: عوني أبوكشك



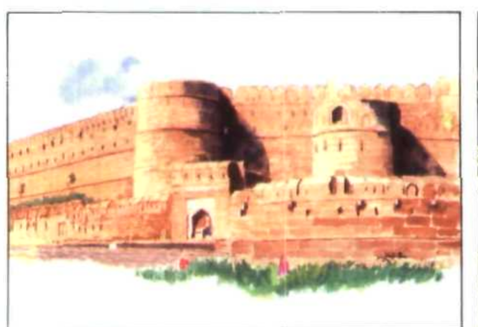
المركز الوطني للكلى



امرأة الفقيد



حلب الشهباء.. مدينة الحضارات

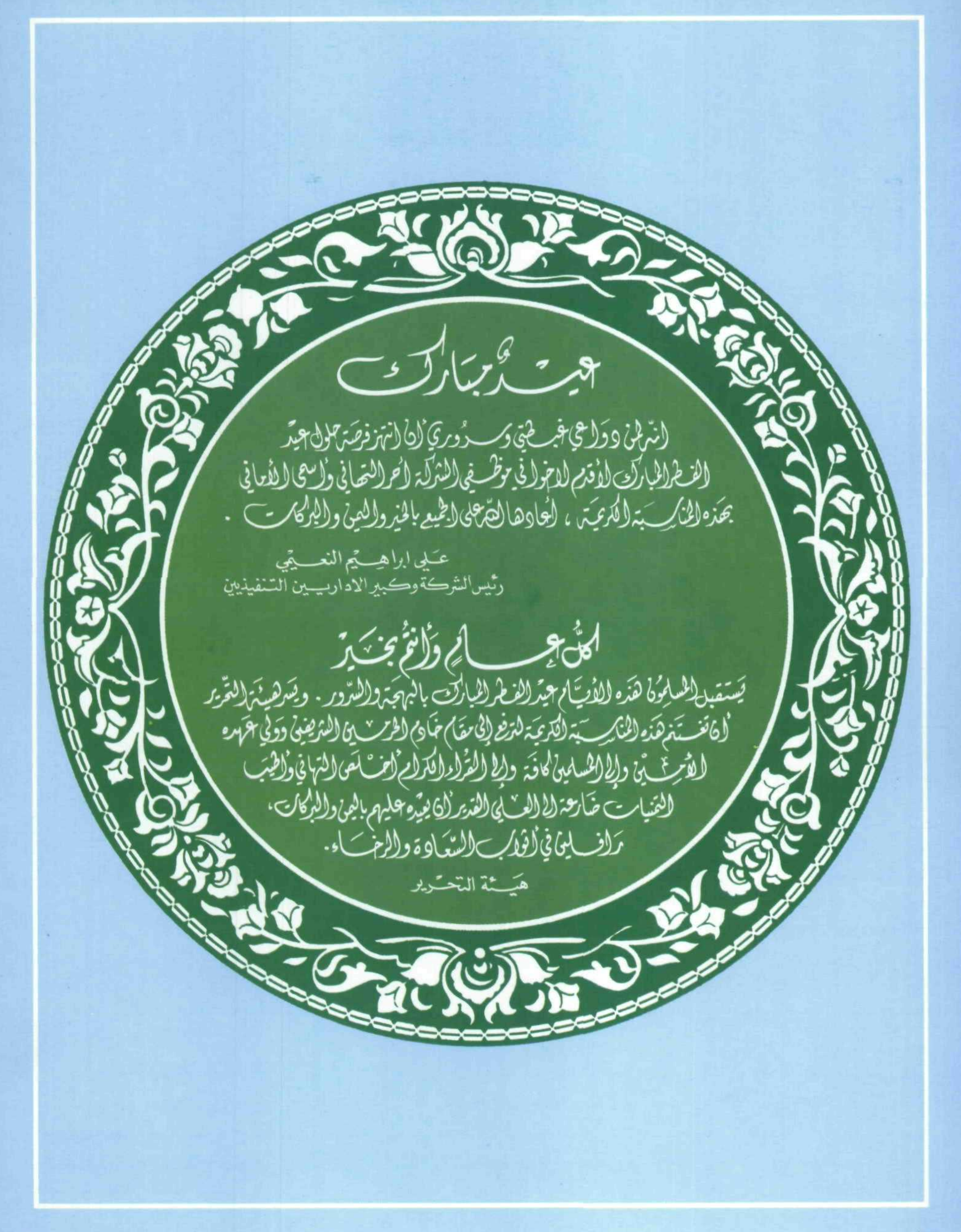


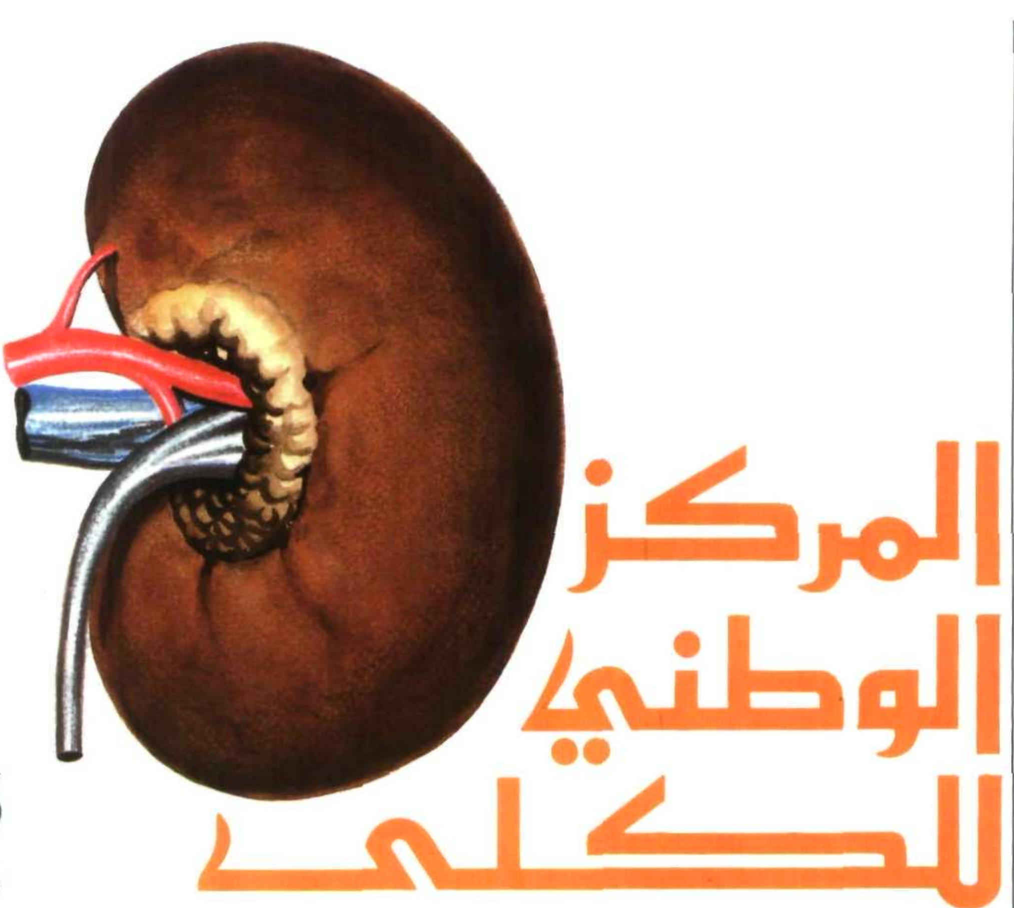
مدينة الفتح الاسلامية في سيكري

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - ٣١٣١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٨٧٤٢٤٠٩ / ٨٧٥٦٣٩٢

تنفيذ وطباعة شركة مطابع المطوع - الدمام - المملكة العربية السعودية
DESIGNED AND PRINTED BY AL-MUTAWA PRESS CO. - DAMMAM


عيد مبارك
انه لمن دواعي غبطتي وسروري أن انتهز فرصة حلول عيد
الفطر المبارك لأقدم لاخواني موظفي الشركة أحر التهاني وأسمى الأماني
بهذه المناسبة الكريمة ، أعادها الله على الجميع بالخير واليمن والبركات .
علي ابراهيم النعيمي
رئيس الشركة وكبير الاداريين التنفيذيين
كل عام وأنتم بخير
يستقبل المسلمون هذه الأيام عيد الفطر المبارك بالبهجة والسرور . ويسر هيئة التحرير
أن تغتنم هذه المناسبة الكريمة لترفع إلى مقام خادم الحرمين الشريفين وولي عهده
الأمين وإلى المسلمين كافة وإلى القراء الكرام أخلص التهاني وأطيب
التمنيات ضارعة إلى العلي القدير أن يعيده عليهم باليمن والبركات ،
رافلين في أثواب السعادة والرخاء .
هيئة التحرير



المركز الوطني للكلى

وَمضَــة أمَــل وخيــط رَجَــاء

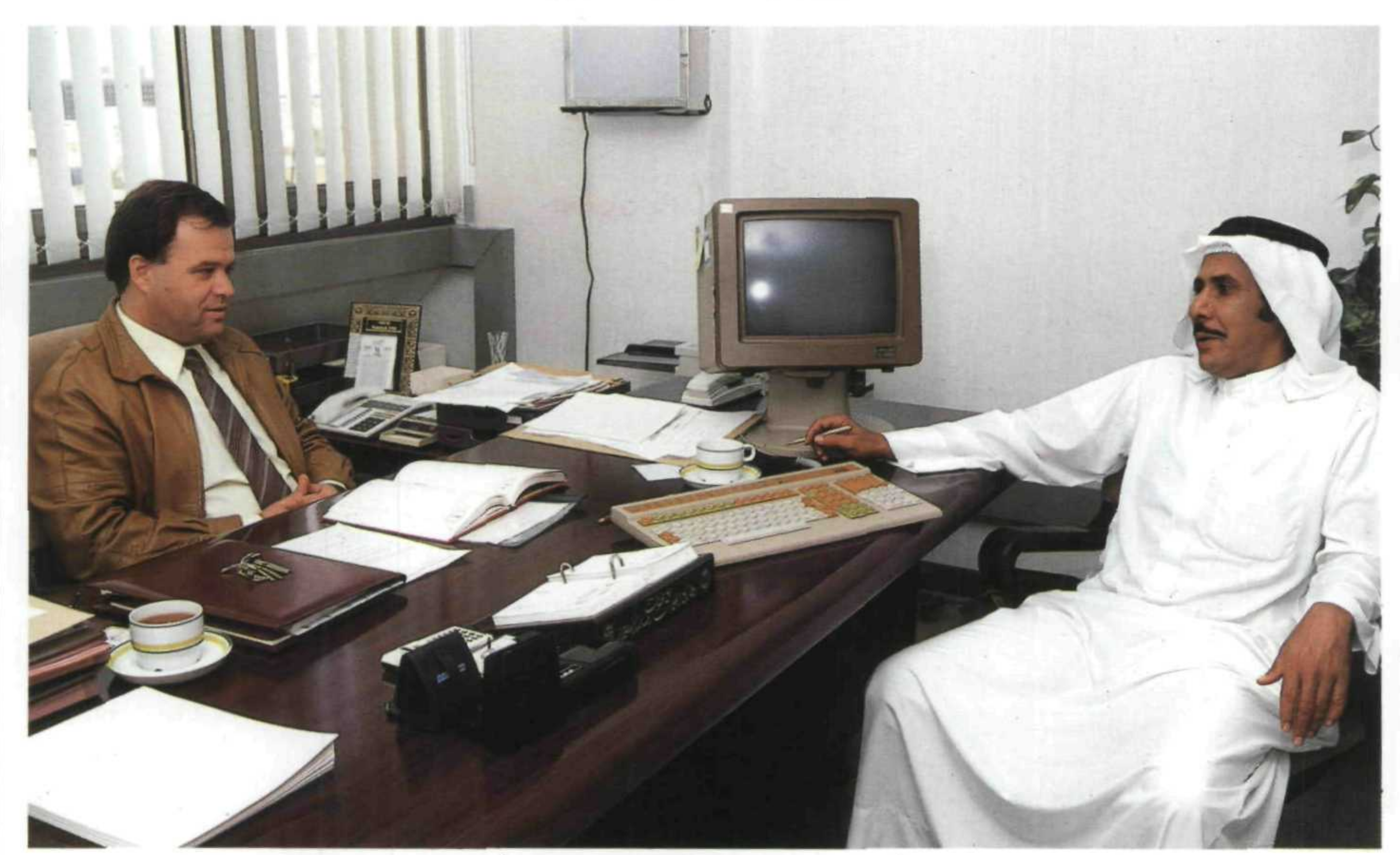
بقلم : عبدالله الخالــد / هيئة التحرير

تخيّل ان رجلا يتغيب عن وظيفته ثلاث مرات في الأسبوع، كل مرة يمضي خلالها ما يزيد على خمس ساعات، أو تخيل أن امرأة تترك منزلها ثلاث مرات في الأسبوع لنفس الفترة الزمنية، أو تتغيب عن وظيفتها للمدة ذاتها أيضا. هذا بالضبط ما يعاني منه مرضى الكلى وهم يترددون ثلاث مرات اسبوعيا على وحدات غسيل الكلى. ولنا أن نتساءل ماذا سينجم من ضرر او ماذا سيترتب على تغيب الموظف أو ربة المنزل عن عملهما؟ وقياسا على ذلك هل لنا أن نتصور أيضا مدى ما يترتب على توقف عضو في جسم الانسان عن عمله ولو لبعض الوقت؟؟ بطبيعة الحال الفرق شاسع بينهما، اذ في المثل الأول قد تصلح الأمور وتضبط بأسرع وقت ممكن، أما في المثل الثاني فان الأمر صعب جدا اذ يترتب على ذلك أمور معقدة قد تؤدي -لا سمح الله- الى مضاعفات ويؤول الأمر الى حالة خطرة.

ذلك العضو هو «الكلى» في جسم الانسان الذي نحن بصدد تسليط بعض الضوء عليه، من خلال استطلاعنا التالي **«للمركز الوطني للكلى بالرياض»**.

ان ما يعانيه مرضى الفشل الكلوي، وما يصرفونه من وقت وجهد جيئة وذهابا الى مركز غسيل الكلى أمر لا يستهان به، إلا أن المعاناة الجسمية والنفسية هي أشد من ذلك بكثير، هذا كله بعد ان تهيأ بفضل من الله ثم بجهود العلماء، العلاج الذي يخفف عن المريض وطأة هذا الداء العضال ويحفظ له حياته الى أن يقيض له الله سبل الشفاء بنقل كلية اليه. وغسيل الكلى عملية شاقة تتطلب الكثير من الصبر وقوة الاحتمال، ومع ذلك فهي حاليا الوسيلة المؤقتة الوحيدة لعلاج مرضى الفشل الكلوي.

إن المعاناة التي يلقاها مرضى الفشل الكلوي جد كبيرة، بحيث أصبحت الشغل الشاغل للمؤسسات الطبية في مختلف أنحاء العالم، وقد برزت الى السطح لتكون احدى اهم القضايا التي تناقشها الندوات والمؤتمرات الطبية وترصد الدول لعلاجها والحد من انتشارها ميزانيات ضخمة. وحقيقةً لم نكن نعلم عن هذه الظاهرة الشيء الكثير، حتى عايشناها عن قرب عند قيامنا باستطلاعنا المصور هذا عن «المركز الوطني للكلى» فأخذنا نردد القول المأثور «الصحة



الدكتور صالح أسود مدير المركز الوطني للكلى يتحدث للقافلة عن أعمال المركز.

تاج فوق رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى».

وقبل أن نلج الى صلب الموضوع، ألا وهو التعريف بـ «المركز الوطني للكلى» رأينا أنه من الضروري التعريف بالكلية وأهميتها وأمراضها وأسباب تلك الأمراض وطرق الوقاية منها وعلاج القصور الكلوي المزمن، وذلك لكي نضع بين يدي القارىء بعض الحقائق عن هذا المرض المستفحل، وقانا الله جميعا شره.

ماذا تعرف عن كليتك[1] ؟

يبلغ الجزء الفعال من مجموع النسيج الكلَوي لدى الرجل حوالي ٣٠٠ غرام، ولدى المرأة حوالي ٢٧٠ غراما، بمعنى ان كلْية الرجل تزن حوالي ١٥٠ غراما، وكلية المرأة تزن حوالي ١٣٥ غراما، وهنا تتجلى عظمة الخالق عز شأنه الذي يجعل الانسان يستطيع أن يعيش حياة سليمة بكلْية واحدة عند الضرورة، وأحيانا بنصف كلْية سليمة طالما بقي ٧٥ غراما من نسيجها الكلوي سليما. والكلْية الواحدة تحتوي على مليون وحدة يطلق عليها اسم «وحدة النفرونات» ووظيفتها هي تصفية دم الانسان حيث تقوم بتصفية ١٨٠٠ لتر من الدم في اليوم الواحد، ليعود الدم صافيا نقيا الى القلب بعد ان تكون «النفرونات» قد فصلت حوالي ١٨٠ لترا يمتصها الجسم، ويتم طرح ١,٥ لتر من الشوائب خارج الدم عن طريق البول.

ولو صففنا وحدات النفرونات، التي تكون على شكل أُنابيب في غاية الدقة، في خط مستقيم فانها تشكل خطا يبلغ طوله ٥٠ كيلومترا تقريبا، فسبحان الذي أحسن خلق الانسان فأبدع واحسن تقويمه.

وعملية التنقية التي تتم في الكِلْية تستهدف تخليص جسم الانسان من الفضلات والسموم التي تنتج من عمليات الاستقلاب الحيوية التي تحدث أثناء عملية احتراق المواد الغذائية لتوليد الطاقة التي يحتاجها الجسم.

ولا تقتصر وظيفة الكِلْية على تنقية الدم فحسب بل تؤدي وظائف أخرى هامة، فهي تفرز هرمونات تساعد في بناء خلايا الدم «تفرز الكلية هرمون الارثروبيتـن —

(١) مستشفى الملك خالد بالخرج، النشرة رقم ١.

Erythropoetin الذي يقوم بتنبيه خلايا العظام للقيام بانتاج خلايا الدم الحمراء والتي ينتج عن نقصانها ما يسمى بفقر الدم، كما أن الكِلْية تحتوي على جهاز تشترك من خلاله هي والكبد في عملية تنظيم ضغط الدم وهو ما يعرف طبيا باسم «آلية الرنين انجيوتنسن ـــ هايبرتنسين Renin-Angiotensin Hypertensin Mechanism»، كما توجد فوق الكلية غدة تزن حوالي سبعة غرامات «الكظر» وتفرز هذه الغدة من قشرتها عشرات الهرمونات المنظمة للسكاكر والأملاح والماء في الجسم، كما أن لب هذه الغدة يفرز مادة الادرينالين المنظمة لتوتر الأوعية الدموية. وقد اكتُشِف حديثا ان هذه الكلْية الصغيرة الحجم تقوم كذلك بدور كبير في عملية تحويل فيتامين (د) من صيغته غير النشطة الى صيغته النشطة الفاعلة، وبدون هذه العملية لا يتم ترسب الاملاح في العظام ولا صنع خلايا العظم مما يؤدي الى لين العظام او ضعفها»[٢] ومن خلال هذه الوظائف المتعددة يمكن ان يطلق على الكِلْية تجاوزا «عاصمة الجسم الثالثة».

أمراض الكلى[٣]

يمكن تقسيم أمراض الكِلى الى:

- أمراض خلقيّة وراثية وأمراض غير وراثية.
- أمراض مكتسبة (في وقت لاحق من العمر)، وتقسم هذه الى امراض حادة وامراض مزمنة.

أما الأمراض المزمنة فمنها ما يؤدي الى ضعف كلوي محتمل، ومنها ما يؤدي الى عجز كِلوي كلي، وفي هذه الحالة يحتاج المريض الى تنقية دمه بواسطة غسيل الغشاء البريتوني، أو غسل الدم بواسطة الكلية الاصطناعية «الديلزة» او بواسطة اجراء عملية لزراعة الكلية.

أما الأمراض الحادة، فمنها ما يمكن شفاؤه باذن الله عز وجل بالمعالجة الطبية او الجراحية، فتعود الكِلْية الى وضعها الطبيعي السليم، باذن الله، وهناك بعض الأمراض الحادة التي يمكن معالجتها ولكن العلاج لا يعيدها الى وضعها الطبيعي السليم، وإنما تعود الى ممارسة وظيفتها بفاعلية أقل وقد تستمر على ضعفها هذا لمدة طويلة حتى ينقلب المرض الحاد الى مرض مزمن.

أهم أسباب أمراض الكلى حسب شيوعها

- حصى المسالك البولية.
- انسداد المسالك البولية الجزئي والكلّي بالتضيقات والحصى والبروستات وغيرها.

٢ ـــ مجلة الفيصل الطبية ـــ العدد الرابع ـــ ربيع الاول ـــ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ/ص٢٩.
٣ ـــ مستشفى الملك خالد بالخرج، النشرة رقم ـــ١.

بطاقة التبرع بالكلى

انا الموقع أدناه والمتمتع بكامل قواي العقلية. أرغب بالتبرع بكليتي بعد وفاتي وذلك لغرض زراعتها لمن يحتاجونها من إخواني المرضى
والله على ما أقوله شهيد

الاسم ______ Name
تليفون ______ Telephone
التوقيع ______ Signature

يرجو من الطبيب المعالج الاتصال:
مستشفى زراعة الكلى ـــ الرياض ٤٧٨٣٩٦٢ ٤٧٨٣٩٨٨

- أمراض المناعة الذاتية «التهاب الكليتين المناعي».
- الأمراض الانتانية الجرثومية.
- الأمراض المتسببة عن تشوهات خلقية.
- أورام الكِلى والمسالك البولية، الحميد منها والخبيث.
- التهاب المسالك البولية المزمن كالذي يحصل عادة عند النساء أثناء الحمل وقد يصاب به الانسان نتيجة وجود حصى في الكِلى.
- بعض الأمراض المزمنة كالسكري تزيد امكانية الإصابة بأمراض الكِلى.
- فرط التوتر الشرياني «ضغط الدم» اذا أُهمِل علاجه.

الوقاية من أمراض الكلى

بعد أن عرفنا أسباب أمراض الكِلى لا بد من معرفة كيفية الوقاية من هذه الأمراض، ومرض الفشل الكلوي بالذات، فالوقاية خير من العلاج ولا بد من اتباع ما يلي:

أولا: ضرورة عرض مرضى ارتفاع ضغط الدم والسكري على اخصائي أمراض الكلى لاكتشاف أية علامات غير طبيعية في مراحلها المبكرة ولتجنب المضاعفات التي قد تؤدي الى الفشل الكِلوي، لا سمح الله.

ثانيا: ضرورة تجنب الإصابة بالأمراض الجرثومية لأن الاصابة بها تؤدي الى تكاثر الجراثيم في الجسم وتقوم هذه الجراثيم بافراز سمومها في الدم، والكلى بطبيعة الحال تقوم بالتخلص من هذه السموم ولكنها قد تصل الى درجة لا تستطيع معها الاستمرار في مهمتها، في حالة زيادة كمية السموم في الدم أو تكرار الاصابة، وهذا قد يؤدي الى الفشل الكِلوي، وأغلب حالات الفشل الكلوي تبدأ بشكوى من سخونة في البول أو قلة كميته او كلاهما.

ثالثا: الاهتمام المستمر بالفحص المنتظم وعدم التهاون فيه، ليس في مجال الكِلى فحسب، بل في جميع أجزاء الجسم لأن امكانية السيطرة على المرض في بدايته أفضل منها عندما يصبح مزمنا.

رابعا: الابتعاد عن تناول المهدئات والمنشطات وعدم أخذ علاج دون استشارة الطبيب، وعدم التدخين والابتعاد عن الانفعالات النفسية.

خامسا: الاكثار من شرب المياه النقية في الأجواء الحارة، لما في ذلك من فائدة في الإبقاء على الكِلى صحيحة تعمل بكفاءة طبيعية.

سادسا: تجنب الاصابة بالبلهارسيا حيث ان هذا المرض يؤدي الى مضاعفات متعددة لها اضرارها على الكِلى ومنها تكوُّن الحصوات والالتهابات وسرطان المثانة مما قد يؤدي بالتالي الى الفشل الكلوي.

ما هو القصور الكلوي؟

تصاب الكلية بالقصور «الفشل» في اداء وظائفها الطبيعية اذا تعرضت لأي مرض من الأمراض الآنفة الذكر، وبالتالي فان السموم والفضلات تتجمع وتتراكم في الدم، مما ينعكس بشكل سلبي على صحة الانسان المصاب بالقصور الكلوي.

أعراض القصور الكلوي

المريض عادة لا يشعر بأي شكوى تشير الى وجود مرض في الكليتين الى أن يصل القصور الكلوى الى المراحل الأخيرة وعندها يشعر بضعف عام وهزال، وتقل شهيته للأكل، ثم يبدأ بالتقيؤ المستمر، ثم تخف درجة الوعي الى حد الاغماء ثم الموت اذا لم يعالج المريض في الوقت المناسب.

علاج القصور الكلوي المزمن

يمكن منع حدوث القصور الكِلوي باستخدام وسيلتين من العلاج وهما:

الأولى: غسيل او تنقية الدم وذلك باستعمال أجهزة التنقية عن طريق الدم او السوائل عن طريق البطن، وعادة يحتاج المريض من جلسة الى ثلاث جلسات اسبوعيا لغسيل الكلى «الديلزة» التي تتلخص بتمرير دم المريض على جهاز الكلية الصناعية لتنقيته ثم اعادته الى جسم المريض، وكل جلسة تستغرق من ٤ الى ٥ ساعات. أما في حالة ضخ السوائل عن طريق البطن فالمريض يحتاج الى جلسة واحدة من ٥ الى ٧ أيام وتستمر من ٢٤ الى ٣٦ ساعة ويستعمل ما يقرب من ٤٨ الى ٩٠ لترا من السائل الخاص او ٤ مرات يوميا باستعمال لترين في المرة الواحدة.

الثانية: زرع كلية للمريض واحسن فرصة لنجاح مثل هذه العملية ان يكون مصدر الكلية من أخ أو أخت مع تطابق فصائل الدم والأنسجة وكذلك يمكن أخذ الكلية من الابن او الأب أو العم أو العمة أو الخال او الخالة اذا كان هنالك تطابق في الانسجة وفصيلة الدم. وأفضل نسب النجاح هي بين التوأم.

ويمكن ان تزرع أيضا الكلى المأخوذة من انسان متوفى حديثا من غير أقارب المريض وان كانت نسبة النجاح في هذه الحالة أقل.

إن زراعة الكلى قد فتحت أمام مرضى الكلى آفاقا رحبة من الأمل والرجاء، ووضعت حدا ــ بإذن الله ــ للعديد من المآسي التي كانت تسببها أمراض الكلى.

وقد أجازت الشريعة الاسلامية السمحاء نقل عضو من جسم انسان ميت الى جسم انسان حي، حيث صدر قرار هيئة العلماء رقم ٩٩ في ١٤٠٢/١١/٦هـ بجواز التبرع بعضو من أعضاء الميت لأن في ذلك انقاذا لحياة مرضى يعتبرون في عداد الموتى.

ومن هذا المنطلق اصدر «المركز الوطني للكلى» بطاقة التبرع بالكلى بعد الوفاة. وللتدليل على أهمية التبرع بالكلى بعد الوفاة، ننقل هذا الخبر الذي ورد في جريدة الشرق الأوسط في عددها رقم ٣٢٩٦ الصادر يوم الاثنين ١٦ ربيع الآخر ١٤٠٨هـ، حال كتابتنا هذا الاستطلاع، وفحوى الخبر كالتالي: «في بادرة انسانية تبرع ابوان سعوديان بكليتي ابنهما الذي توفى عن عشرة أشهر نتيجة سكتة دماغية. وقد انقذت حياة طفلتين احداهما سعودية والأخرى بنجالية بزرع كليتي الطفل فيهما لدى مستشفى القوات المسلحة السعودية بالرياض، وذكر العميد صالح عبدالله الماضي مدير المستشفى لـ «الشرق الأوسط» أن التبرع من أبوي الطفل جاء بمبادرة شخصية وبدون ان يطلب منهما ذلك.. وأوضح أن كليتي الطفل استؤصلتا في الاسبوع الماضي وتولى زراعتهما في الليلة ذاتها فريق زراعة الكلى بالمستشفى احداهما لطفلة سعودية عمرها ٩ أعوام وهي احدى مريضات المستشفى، وزرعت الكلية الأخرى لطفلة بنجالية عمرها ١٣ عاما كانت تنتظر الدور في مستشفى الملك خالد الجامعي بالرياض ثم احيلت لمستشفى القوات المسلحة لزراعة الكلية لها.. وأكد العميد الماضي ان الطفلتين تتمتعان بصحة جيدة بعد زراعة الكليتين لهما.. وأن شعور الامتنان لوالدي الطفل المتوفى لهذا العمل الانساني قد غمر اسرتي الطفلتين، كما أن جميع العاملين بالمستشفى قد شعروا بالتقدير الكبير لهذه المبادرة الانسانية النبيلة». وتستطرد الصحيفة قائلة: «وأوضح مدير المستشفى ان برنامج زراعة الكلى بمستشفى القوات المسلحة بالرياض كان قد بدأ قبل ٨ سنوات بتوجيهات من الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام. وقد زرعت بالمستشفى منذ ذلك الوقت ٤٠ كلية.

وأضاف ان مجهودات المركز الوطني للكلى بالرياض برعاية الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض جعلت المواطنين يدركون أبعاد معاناة القصور الكلوي وأهمية التبرع للمرضى من قبل أقرباء المتوفى، علما بأن زراعة الأعضاء تتم للمريض الملائم بالتنسيق بين المستشفيات السعودية المختلفة.

على الصعيد نفسه ، بلغ عدد الكلى التي زرعتها ٣ مستشفيات سعودية (هي المستشفيات المتخصصة بزراعة الكلى في المملكة) ٣٢٨ كلية وذلك خلال الفترة من عام ١٩٧٩م.. ففي مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض زرعت ٩٨ كلية، وفي مستشفى القوات المسلحة بالرياض بلغ العدد ٢١٥ عملية زراعة، وأجريت ١٥ عملية في مستشفى الشاطىء بجدة.

ويبلغ عدد المرضى الذين يعانون من الفشل الكلوي في المملكة ١٤١٥ مريضا، ويحتاج الأمر الى اجراء ٣٠٠ عملية زراعة للكلى في العام الواحد، ولكن عدم توفر الكلى يزيد من اعداد مرضى الفشل الكلوي الذين يتزايد عددهم باستمرار.

وتجدر الاشارة الى أن كلفة زراعة الكلية في الولايات المتحدة الامريكية، على سبيل المثال، يناهز مليون ريال سعودي، إضافة الى انتظار قد يصل الى سبع سنوات وما يعانيه المريض من مشقة سفر وغربة.

ويعد المركز الوطني للكلى بالرياض صرحا طبيا وانسانيا يحظى برعاية واهتمام ومتابعة شخصية من الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض.

وقد وزع المركز أكثر من ١٢٠ ألف بطاقة للتبرع بالكلى بعد الوفاة على العاملين في القطاعات الحكومية المدنية والعسكرية والتعليمية».

المركز الوطني للكلى:

في مقر المركز التقينا مديره الدكتور صالح أسود الذي حدثنا عن فكرة إنشاء المركز قائلا: بدأت فكرة إنشاء هذا المركز، حينما لاحظ صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض الصعوبات التي تواجه مرضى الفشل الكلوي السعوديين الذين يضطرون للسفر الى الخارج للحصول على كلى.. وقد يضطر هؤلاء المرضى الى الانتظار مدة طويلة بعيدا عن الأهل والوطن، بالاضافة الى مشاكل اللغة والمصاريف الخيالية في مجال نقل وزراعة الكلى الى جانب مصاريف الاقامة والمواصلات.. وأهم من كل هذا المشاكل الاجتماعية والنفسية التي يتعرض لها هؤلاء المرضى انفسهم وكذلك ذووهم.

ولهذا كلف الأمير سلمان الدكتور محمد سعيد ابو ملحة، رئيس قسم زراعة الكلى بمستشفى القوات المسلحة بالرياض باعداد تقرير متكامل عن زراعة الكلى بالمملكة ورفع الموضوع الى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله للتكرم بما يأتي:

- المصادقة على قرار هيئة كبار العلماء بجواز نقل الأعضاء من إنسان حي أو ميت الى مسلم مضطر الى ذلك وغلب الظن نجاح العملية.
- تنفيذ وتمويل برنامج نقل الكلى ممن توفاهم الله وهم أصحاء نتيجة الحوادث المختلفة.
- الاستمرار في تشجيع أقارب المريض الذي يعاني من فشل كلوي تام بالتبرع لقريبهم المريض بكلية اذا ثبت طبيا ان كليتي المتبرع سليمتان وثبت أيضا تقبل جسم المريض لذلك.
- الحد من أو ايقاف إرسال المرضى لزراعة الكلى خارج المملكة في حالة الموافقة على نقل الكلى محليا.

وقد وافق خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز، حفظه الله، على ما طلبه صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز على أن يقوم بالاشراف على «المركز الوطني لزراعة الكلى» لجنة برئاسة معالي وزير الصحة وعضوية مندوبين عن رئاسة الحرس الوطني ووزارات الدفاع والطيران، والتعليم العالي، والصحة، ومستشفى الملك فيصل التخصصي لتتولى تحديد اهدافه ونشاطه وتمارس المسؤوليات والمهام اللازمة لانشائه واظهاره الى حيز الوجود.

ويستطرد الدكتور صالح أسود قائلا: ولقد بدأت فكرة إنشاء المركز منذ ما يزيد على ثلاث سنوات. وباشر عمله الفعلي منذ سنة ونصف. وهو مركز علمي يُعنى بمرضى الكلى عامة ومرضى الفشل الكلوي خاصة، وللمركز صفة الاشراف ومتابعة ورعاية المصابين بهذا المرض. وهو بهذه الصفة يعتبر جهة تنسيق فقط وليس مستشفى — كما يظن البعض — وهو يتلقى المعلومات عن مرضى الفشل الكلوي من مراكز الكلى المنتشرة في أنحاء المملكة كافة عن طريق الحاسب الآلي ويقوم بتحليلها ودراستها ومطابقتها تمهيدا لعمليات زراعة الكلى حال توفرها.

أهداف المركز

- جمع المعلومات الطبية عن مرضى الفشل الكلوي في المملكة وبرمجتها في جهاز الحاسب الآلي.
- تحليل هذه المعلومات ودراستها وعمل البحوث العلمية اللازمة عليها.
- التعرف الى المرضى الذين يحتاجون الى زراعة كلى من بين مرضى الفشل الكلوي وجمع المعلومات اللازمة عنهم، وتنسيق عمل مراكز زراعة الكلى بالمملكة.
- وضع التوصيات اللازمة لتحسين مستوى الخدمات الطبية لهؤلاء المرضى وتوفير أوجه الرعاية الصحية اللازمة لهم.

الدكتور حافظ علامة من وحدة امراض الكلى بمستشفى الرياض المركزي يتحدث عن طبيعة عمل الوحدة.

* تبادل المعلومات مع كافة المراكز التي تقدم خدمات طبية لهؤلاء المرضى.
* التوسع في اقامة مراكز زراعة الكلى في المملكة حسب الظروف المتاحة.
* تدريب طواقم سعودية من فنيين وممرضين وأطباء بحيث يستطيعون تغطية جميع مراكز غسيل الكُلى ونقلها وزراعتها.
* تعريف المواطنين بمرض الفشل الكلوي عن طريق جميع الوسائل المتاحة وحثهم على التبرع لأقاربهم، والتبرع بكلاهم.
* تعريف العاملين في المجالات الصحية ببرنامج زراعة الكلى وحثهم على التعاون في سبيل انجاح البرنامج.

كيف تتم عملية التنسيق؟

يحدثنا الدكتور صالح اسود عن عملية التنسيق التي يقوم بها المركز، فيقول: اننا قد نتلقى اتصالا هاتفيا من أحد مستشفيات المملكة حول حالة موت دماغي، فنقوم نحن بالاتصال بالأطباء المشرفين على حالة الوفاة ليتأكدوا من صلاحية كلية المتوفى، وعند تلقينا الرد بالايجاب، نقوم بالاتصال بفريق الجراحين الذي سيقوم باستئصال كلية المتوفى المتبرع لينتقل فريق الجراحين فورا الى مكانها، ومن ثم نقوم بالاتصال الفوري بفريق الجراحين الذي سيقوم بزراعة الكلية لنبلغه بضرورة الاستعداد فورا لزراعة الكلية، بعدها نقوم بالاتصال بمراكز الكلية الصناعية لنبلغهم باسم المريض الذي سنقوم بزراعة الكلية له. وعملية التنسيق هذه تتطلب منا جهدا كبيرا وسهرا متواصلا، لأن صلاحية الكلية للزراعة لا تدوم أكثر من ٣٦ ساعة، ولذلك نحرص على ان تتم كافة الاجراءات في غضون ١٢ ساعة لضمان نجاح عملية الزراعة. وقد يستدعي ذلك ارسال طائرة طبية خاصة لنقل المريض، وهذا ما حصل منذ فترة قريبة عندما قامت الطائرة الطبية بنقل مريض من الهفوف وتمت عملية نقل الكلية له بنجاح، والحمد لله.

ويستطرد الدكتور أسود قائلا: وبمناسبة الحديث عن صلاحية الكلية أود أن أشير هنا الى انه ليس كل حالة موت دماغ تصلح لنقل الكلية من المتوفى، فنحن لا نقوم بنقل كلية شخص تجاوز الستين او شخص مصاب بالسكري أو ارتفاع ضغط الدم او شخص مصاب بحصى الكلية، او شخص حصل لديه هبوط في الضغط بعد حادث نزيف. ومسألة موت الدماغ مسألة أقرها الشرع الاسلامي على أنها حالة وفاة فعلية، وصدرت بها فتوى من مجلس الفقه الاسلامي في مؤتمره الثالث المنعقد بعمان عاصمة الأردن، للفترة من ٨ــ١٢ صفر ١٤٠٧هـ، اذ ان النظرة التي كانت سائدة سابقا هي أن حالة الوفاة تتم بتوقف القلب عن الحركة، ولكن الواقع ان القلب قادر على الاستمرار بالنبض بفعل الأجهزة التي تقوم بتشغيل الدورة الدموية لساعات عدة بعد الوفاة الحقيقية، وهذا ما يتم فعلا في حالة عمليات نقل الكلى.

وقد ذكر الدكتور صالح أسود بأن المركز الوطني للكلى هو الذي أدخل فكرة موت الدماغ على أنها حالة الوفاة الحقيقية للمصاب، وقد قام المركز منذ انشائه بعمليات استصدار الفتوى من هيئة كبار العلماء بجواز زرع الكلى من المتوفين، وقام المركز بالتنسيق التام لعمليات زراعة الكلى من الأموات التي تمت في المملكة جميعها، ما عدا حالة واحدة تمت في مستشفى القوات المسلحة بالرياض قبل انشاء المركز، وقد بلغ عدد العمليات التي قام المركز بالتنسيق لزراعتها من الأموات ٢٤ عملية في سنة واحدة وهو عدد لا بأس به كبداية.

والمركز الوطني للكلى الى جانب ما سلف، يقوم بالاشراف على مراكز الكلية الصناعية «غسيل الكلى» ويقوم بافتتاح مراكز جديدة حسب الحاجة في أنحاء المملكة، وقد بلغت الأجهزة المتوفرة لغسيل الكلى حاليا ٣٥٠ جهازا موزعة على ٥٥ مركزا اذ ان بعض المراكز تضم ٢٠ جهازا. ولا زلنا نتلقى بين حين وآخر طلبات ــ حتى من مستشفيات صغيرة ــ للحصول على أجهزة غسيل الكلى.

ويستطرد الدكتور صالح أسود قائلا: ومع التوسع الكبير الذي تقوم به الدولة في مرافق الكلية الصناعية وافتتاح مراكز جديدة لغسيل الكلى واستقدام أحدث الأجهزة لذلك، إلا أن هذا لن يحل مشكلة مرضى الفشل الكلوي، حيث أن هذا العلاج هو علاج مؤقت له الكثير من سلبياته، ومهما بلغ التوسع في استقدام الأجهزة وافتتاح المراكز، فان ذلك لن يحل مشكلة العدد الكبير والمتزايد من مرضى الفشل الكلوي والذي قد يبلغ بين ٨٠ــ١٠٠ شخص لكل مليون شخص في الدول الصناعية المتقدمة، وقد يتجاوز هذه النسبة في المملكة بسبب الطبيعة الصحراوية الجافة.

موقف الدين الاسلامي من زراعة الكلى

الدين الاسلامي الحنيف، دين يدعو الى مساعدة المسلم لأخيه المسلم ما استطاع الى ذلك سبيلا وقد نصت الاحاديث النبوية الشريفة على ذلك حيث يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه، «**المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا**» ويقول «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الاعضاء بالسهر والحمى**». وفي مجال زراعة الكلى التي انتشر أمرها في المجتمع الاسلامي كان لعلماء المسلمين دور بارز في ايضاح موقف الاسلام من نقل الأعضاء حيث صدرت بذلك فتوى من هيئة كبار العلماء في مضمون القرار رقم ٩٩ في ١٤٠٢/١١/٦هـ.

١ ــ جواز نقل عضو او جزئه من انسان ميت الى مسلم اذا اضطر الى ذلك وامنت الفتنة في نزعه ممن أخذ منه وغلب على الظن نجاح زرعه فيمن سيزرع فيه.

٢ ــ جواز تبرع الانسان الحي بنقل عضو منه أو جزئه الى مسلم مضطر الى ذلك.

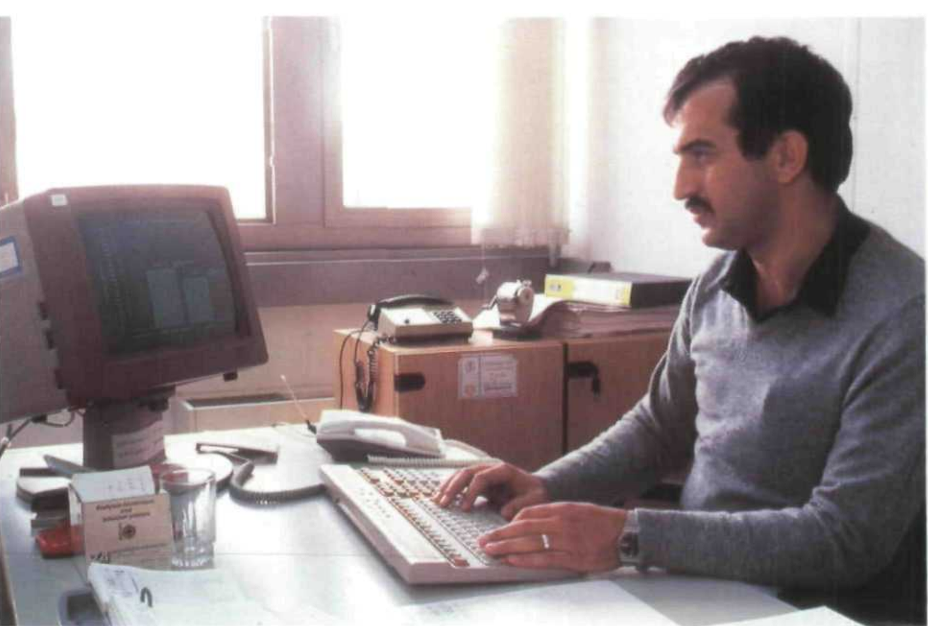
قسم الحاسب الآلي

يصف الدكتور صالح أسود «المركز الوطني للكلى بالرياض» بأنه واحد من أفضل المراكز في العالم، لا من حيث الانجازات التي حققها، ذلك لأن عمره الزمني لا يقاس بغيره من المراكز التي سبقته بسنوات عدة، ولكن من حيث كمية المعلومات التي يحتفظ بها عن مرضى الكلى في المملكة. فهذا المركز يرتبط بجميع وحدات الكلى بالمملكة بشبكة للحاسب الآلي يتم عن طريقها معرفة حالة كل مريض والمعلومات المتعلقة به من حيث السن والجنس وفصيلة الدم ونوعية الانسجة وغير ذلك من المعلومات التي تُسرّع في عملية معرفة أولوية مريض ما لزراعة كلية في حال توفرها، إذ انه في حالة توفر كلية ما فان المركز يتسلم المعلومات عن الكلية المتوفرة ويدخلها في جهاز الحاسب الآلي الذي يحدد في الحال عدد المرضى المرشحين لزرع هذه الكلية، فيقوم المركز بعد ذلك بإحضارهم الى المستشفى الذي سيقوم بالزراعة، وفي المستشفى تجرى بعض الفحوص المخبرية لمعرفة المريض الأكثر مناسبة لتلقي هذه الكلية.

وخلال زيارتنا لقسم الحاسب الآلي في المركز اطلعنا الاستاذ جواد الأشهب احد مبرمجي الحاسب الآلي على كيفية تلقّي المعلومات من مراكز الكلى المختلفة في المملكة وادخالها

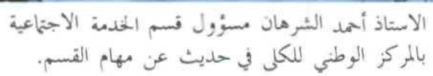


مختبر وحدة أمراض الكلى بمستشفى الرياض المركزي.



الاستاذ جواد الأشهب أحد محللي البرامج في المركز الوطني للكلى يشرح للقافلة كيفية الحصول على المعلومات عن المرضى من جهاز الحاسب الآلي.





الاستاذ أحمد الشرهان مسؤول قسم الخدمة الاجتماعية بالمركز الوطني للكلى في حديث عن مهام القسم.



جهاز الحاسب الآلي المركزي في المركز الوطني للكلى.

لجهاز الحاسب الآلي المركزي في المركز الوطني للكلى، ثم على كيفية استرجاعها عند الحاجة. وذكر ان في هذا القسم رقما خاصا لكل مركز من المراكز، وعند الحاجة لمعرفة أي شيء عن مريض في هذا المركز، او عدد المرضى فيه، او التطورات التي طرأت على حالة المرضى، فما علينا إلا ادخال ذلك الرقم فتظهر المعلومات كافة أمامنا على الشاشة. وهذا دون شك سيختصر الوقت والجهد، ويلبي الحاجة الملحة للتعامل مع مرضى الكلى بأسرع ما يمكن نظرا لحساسية هذا المرض.

قسم الخدمة الاجتماعية

إن الخدمة الاجتماعية التي تقدم لمرضى الكلى لا تقل أهمية عن الرعاية الصحية التي يلقونها في كافة مراكز الكلى في المملكة، وادراكا من «المركز الوطني للكلى» لهذه الحقيقة فقد قام باستحداث هذا القسم الذي يحدثنا الاستاذ احمد محمد الشرهان، رئيس القسم، عنه بقوله: إن المعاناة لدى مرضى الكلى قد تتشابك. فهناك، الى جانب المعاناة المرضية، مشاكل اجتماعية ونفسية متعددة ونستطيع تلخيص بعضها بما يلي:

- مشاكل مادية: تنتج عن توقف المريض عن العمل بسبب الحالة المرضية التي تستدعي حضوره ثلاث مرات أسبوعيا لجلسة غسيل الكلى التي تستغرق أكثر من أربع ساعات، ومجرد الاصابة بهذا المرض تولد ضعفا جسمانيا للمصاب به يجعله غير قادر على اداء مهامه المعتادة، حيث يكون عاجزا عن القيام بأي مجهودات عضلية، وهذا مما قد يدفع رب العمل الى فصله أو إحالته للتقاعد، مما يقلل من دخله ويضعه في مأزق أمام بعض الالتزامات العائلية التي كان يقوم بها قبل الاصابة. وهذا بالطبع يدفع بالمريض الى الشعور بالاحباط والنقص لكونه أصبح انسانا عاطلا لا يستطيع الوفاء بالتزاماته.
- مشاكل اجتماعية ونفسية: تنشأ عن تغيب الرجل عن منزله وعجزه عن القيام بمهامه الاجتماعية، وهذه المشاكل تبرز بشكل أكبر لدى المرأة وذلك بسبب التزاماتها المنزلية ورعايتها للأطفال، وعجزها عن القيام بمهامها تجاه زوجها الذي كثيرا ما يجد العذر في الارتباط بزوجة أخرى للقيام بتلك المهام وتوفير الجو العائلي الذي ينشده الرجل. وغني عن التعريف ما قد تواجهه المرأة من أوضاع نفسية قد تزيد حالها سوءا.
- مشاكل فردية: تنشأ في الغالب عن المخاوف التي تنتاب المريض من جراء التعامل مع الكلية الصناعية مما قد يدفعه

الى رفض هذا العلاج، وهنا تبرز أهمية الأخصائي الاجتماعي المباشرة في اقناعه بأهمية العلاج.

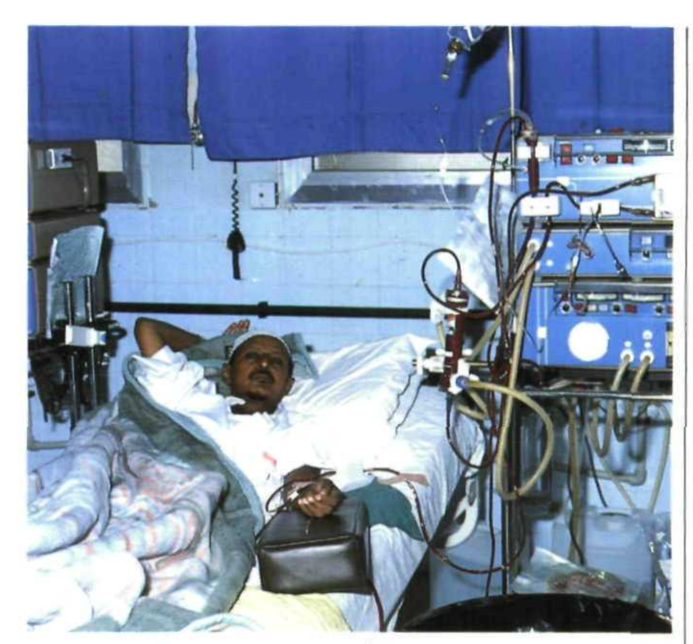
* مشاكل أخرى متعلقة بالأهل، حيث يرفض بعضهم فكرة التبرع بالكلى لقريبهم وذلك لعدم تفهمهم للمعاناة التي يلاقيها المصاب، أو لخوفهم على أنفسهم وعدم ادراكهم بأن الانسان قادر على أن يعيش بكلية واحدة او حتى بنصف كلية. وهنا يبرز دور الاخصائي الاجتماعي في عملية الاقناع، وايضاح حقيقة ان التبرع من قبل الاقارب هو الطريق الأسلم لأن فرص النجاح ستكون أكبر.

وأمام هذه المشاكل جميعا ادرك «المركز الوطني للكلى» أهمية وجود قسم الخدمة الاجتماعية ليقوم بحل تلك المشاكل. ولا يزال هذا القسم في بدايات تكوينه وقد قام بمسح اجتماعي لدراسة أهم المشاكل التي تواجه المرضى عن طريق القيام بإعداد استمارة استبيان قام بتوزيعها على مرضى الكلى بالرياض وهو بصدد تعميم توزيعها على المرضى في المناطق الأخرى لجمع المزيد من المعلومات.

ويبذل القسم الآن جهودا يحاول من خلالها تخفيف المعاناة عن المرضى، عن طريق توفير بعض التعويضات المادية لبعضهم خصوصا أولئك الذين يفدون على مراكز الكلى من مناطق بعيدة نسبيا حيث يستدعي وصولهم للمركز دفع مبالغ للحصول على وسيلة مواصلات أو مبالغ أخرى للمصاريف الشخصية، هذا بالاضافة الى توفير السكن لهم بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة، ويتم الحصول على المبالغ النقدية من «جماعة أصدقاء المرضى». ويسعى «المركز الوطني للكلى» حاليا لبذل ما يستطيع للرقي بالخدمات التي يقدمها هذا القسم خصوصا بعد الانتهاء من إنشائه.

ذلك هو المركز الوطني للكلى وتلك بعض خدماته الجليلة والذي سيكون،بإذن الله، خير من يأخذ بأيدي مرضى الكلى لرفع المعاناة عنهم وليقضي على المعاناة الكبيرة لعدد متزايد من المرضى. مع التأكيد على حقيقة أهمية التبرع بالكلى وأنها عملية إنسانية يجب أن يشارك فيها كل من لديه الاستطاعة لأنها السبيل الوحيد الذي سيمكّن هذا المركز من اداء دوره وتحقيق الهدف الانساني النبيل الذي انشيء من أجله. وفي هذا الصدد لا بد من ذكر مقولة للدكتور حافظ علامة من وحدة الكلى بالمستشفى المركزي بالرياض، كان يرددها خلال جولتنا معه في الوحدة وهي: «ان الأجهزة وحدها لن تكون قادرة على حل المشكلة، لأن العدد المتزايد من المرضى أصبح يهدد بأزمة ستتفاقم على مر الأيام. وبذلك يكون التبرع بالكلى بعد الوفاة الوسيلة الوحيدة لاحتواء هذه الأزمة.» □

تصوير: حسين الرمضان/ ارامكو



جانب من وحدة غسيل الكلى بمستشفى الرياض المركزي.



رسم بياني يوضح النسبة التصاعدية لمرضى الكلى تم استلامه عن طريق الحاسب الآلي بالمركز الوطني للكلى.



البترول

شعر: علي الحاج بكري / الرياض

أي سر فيه حتى اتقدا ... ينفث الغاز فيمضي صعدا
عصرته الأرض في اعماقها ... وغدا للكون تبرا اسودا
سائل ما راق يوما شكله ... لِصَدٍ أورام فيه الموردا
ليس يشفي من اوار إنما ... شغل الدنيا ونال السؤددا
ان اردت الحرب أذكى نارها ... أو أردت السلم أعطى الرغدا
دفقةُ نور وفي النور علا ... وعطاء رائع إن جمدا
تتلقاه يد العلم وكم ... اخرجت منه أفانين الندى

* * *

قصة البترول هل تعرفها ... كيف فازت باهتمام البشرِ
خجلا كان بأطباق الثرى ... يتوارى في عميق الحفرِ
عجبا ما باله في همة ... فجر الأرض بفيض الشررِ
ومضى يعلو وينساب على ... سطحها كالسيل من منحدرِ
واتى كل جديد معجب ... من نضير الخير او من ضررِ
وتزيّا كل زي وانجلى ... بارع النسج بهي المنظرِ
جعل الانسان منه سلما ... لبناء فاق كل الصورِ

* * *

قصة البترول والعلم غدت ... في البرايا قصة المستقبلِ
مركبات هدرت في قوة ... ودواليب جرت في معملِ
وتعالت طائرات وغزت ... كل صقع، لم تخف من زللِ
وبعرض البحر سارت سفن ... تتحدى كل موج مقبلِ
وحكايا من دمار تلتقي ... بحكايا من سماح الاملِ
وجهاز اذهلت دقته ... ولباس في بهاء ينجلي
سرّها «البترول» ما اعجبه ... يتراءى في عطاء امثلِ

* * *

قصة البترول عشنا عهدها ... في صراع هادر مصطخبِ
كم قوى شاءته نهبا بينها ... في اندفاع الظامىء المنتهبِ
وأرادته غذاء سائغا ... لمرامي حقدها الملتهبِ
هدرت حق شعوب ملكت ... منبع البترول عبر الحقبِ
أخطأت فانكفأت، وانتصرت ... في بلاء قوة الشعب الأبي
واستمد العرب من بترولهم ... عزمات للغد المرتقبِ
وبدت نهضتهم في زخمها ... تتسامى لبلوغ الأربِ

أدباء من المملكة العربية السعودية :

محمد سعيد العامودي
شيخ الصحافة الإسلامية

بقلم: د. مصطفى ابراهيم حسين / الرياض

هو الأديب المكي محمد سعيد العامودي، أحد أصحاب الريادة الأدبية بالمملكة العربية السعودية. ولد بمكة المكرمة في عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، ووالده هو الراحل الشيخ عبدالرحمن العامودي من تجار مكة المشاهير «قرشي النسب، ينتسب الى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه. وبيت العامودي في الجزيرة العربية بيت علم وفضل وحسب»، على حد قول حسن العبادي في تقديمه كتاب العامودي (من حديث الكتب).

وقد تخرج العامودي في مدرسة الفلاح، بمكة المكرمة، وشغل ــ بعد تخرجه ــ عدة وظائف ادارية منها: رئاسة ديوان التحرير بمصلحة البريد والبرق العامة، قبل أن يتحول اسمها الى «وزارة البرق والبريد والهاتف»، واختارته وزارة المعارف مرتين لعضوية المجلس الأعلى للعلوم والآداب، كما اختير عضوا بمجلس الشورى لعدة سنوات.

وقد كان «العامودي» أحد الأعضاء والمؤسسين في لجنة مشروع القرش، ولجنة النشر والتأليف، ولجنة نشر المخطوطات المتعلقة بتاريخ الحرمين. وهي اللجان التي توقفت عن نشاطها فيما بعد. كما كان عضوا في وفد وزارة المعارف في الدورة الثقافية التاسعة للجامعة العربية في عام ١٣٧٤هـ.

العامودي والصحافة

اشتغل العامودي بالصحافة، وأسهم في نهضة الصحافة بالمملكة العربية السعودية، بالقدر الذي عد ــ من أجله ــ واحدا من اعلامها البارزين، ممن لا سبيل الى إغفالهم عند الحديث عن تاريخ الحركة الصحفية بالمملكة. فقد شغل منصب رئيس تحرير جريدة (صوت الحجاز). وهي الجريدة ذات الشأن في تاريخ الصحافة والثقافة بالسعودية. وقد رأس ــ أيضا ــ تحرير مجلة الحج، وأضيفت اليه ــ أثناء عمله ذاك ــ رئاسة تحرير مجلة «رابطة العالم الاسلامي» وظل بها من عام ١٣٨٥هـ الى عام ١٣٩٨ للهجرة.

وكان العامودي يتخير لمجلة (رابطة العالم الاسلامي) الموضوعات والكتاب والأحاديث من مختلف أنحاء العالم الاسلامي، وكان مكتبه في الرابطة ملتقى لكل مفكري المسلمين القادمين الى مكة المكرمة، وخاصة في موسم الحج. ولذا حققت مجلة الرابطة في عهده ازدهارا ملحوظا في تحريرها ومادتها وإقبال جماهير عريضة من القراء على اقتنائها.

لهذا لم يكن عجيبا أن يكون العامودي ــ على حد قول الاستاذ انور الجندي (شيخ الصحافة الاسلامية في المملكة العربية السعودية).

ولم تكن الصحافة الاسلامية لديه مجرد فن صحفي يتعشقه، ولكنها كانت منبرا اسلاميا حيا يعلو من خلاله صوته المخلص بالدفاع عن الاسلام، وجمع شتات المسلمين، والتمكين لكل داعية اسلامي مخلص من أن يقول كلمة مسموعة لعشرات الملايين من المسلمين في العالم العربي على وجه الخصوص.

ومن هنا فقد التقى العامودي ــ أمد الله في عمره ــ وصديقه عبدالقدوس الانصاري، يرحمه الله في ميدان الصحافة السعودية، رائدين مؤسسين، غير أن وجهة العامودي كانت سياسية اسلامية كداعية وكاتب اسلامي، بينما كانت وجهة صديق عمره الانصاري ثقافية أدبية، مع عناية خاصة بالآثار والتاريخ.

وقد لقيت «المنهل» التي أسسها الأنصاري وما تزال تتابع صدورها ورسالتها على يد إبنه نبيه الانصاري. نقول: لقيت عناية من العامودي، فهو الى جانب ما نشره على صفحاتها من المقالات والأشعار والقصص، كان يسهم في جمع أسماء المشتركين لأول عدد من اعداد المنهل قبل صدوره، ويختم رسالة منه ــ بهذا الصدد الى صديقه الانصاري بقوله: «اني مستعد لكل خدمة تلزم للمجلة تحريريا واداريا، وسأبعث اليكم إن شاء الله فيما بعد بما يسمح به الفكر من موضوعات أدبية..» وقد برّ العامودي بوعده، فظل يمد المنهل بمدد من الفكر: نثرا وشعرا.

ولم يقف نشاط العامودي الصحفي عند هذا الحد، بل أسهم بنشر مقالات وأشعار في أكثر الصحف السعودية، في قضايا وموضوعات أدبية واجتماعية ودينية، ونظن أن العامودي قد جمع أكثرها في كتبه، فيما بعد.

كتب العامودي

• من تاريخنا: وهو سلسلة من المقالات والأبحاث التاريخية القصيرة، بعضها يتناول ظواهر تاريخية، والآخر يتناول بالتحليل كتبا تاريخية.

• من حديث الكتب: وهو في ثلاثة مجلدات، تضم مجموعة من المقالات تتناول عرضا وتحليلا لكتب مختلفة في التاريخ والأدب والحضارة والفلسفة والسياسة ولكنها — في الأعم الأغلب — تلتقي على صعيد واحد، هو الصعيد الاسلامي، الذي أولاه العامودي جل عنايته.

• من أوراقي: وهو مجموعة من المقالات اتجه أغلبها الى دراسة فريق من شعراء العربية، كشوقي وحافظ، ومحمود غنيم، ومحمد رضا الشبيبي، وشعراء سعوديين من جنوب المملكة. وربما كان هذا الكتاب — بالذات — من أكثر كتب العامودي تمثيلا لاتجاهاته الثقافية.

• رامز، وقصص أخرى: وهو مجموعة قصصية أسهم العامودي بها في نشأة الفن القصصي في الأدب السعودي الحديث.

• رباعياتي: وهو مجموعة من الرباعيات الشعرية.

• نشر النور والزهر في تراجم أفاضل من بمكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر للشيخ عبدالله مرداد. وهو كتاب من تحقيق العامودي واختصاره، بالاشتراك مع صديقه احمد علي.

وعدا ما تقدم فللعامودي كتب أخرى ما تزال قيد الطبع والنشر، منها:

• خاطرات، أو رؤوس أقلام: شعر.

• ديوان شعره.

ونظرة الى ما تقدم تدلنا على أن العامودي قد جمع بين الابداع الشعري والقصصي والمقال. وان ليس له نشاط تأليفي بالمعنى المفهوم من التأليف. اذ لم يصدر عنه كتاب ذو موضوع واحد في البحث التاريخي — مثلا — وهو الفن المفضل لديه، او في البحث الديني والأدبي، أو فيما سوى ذلك.

على ان بوسع القارىء ان يستخلص من جملة ما كتب العامودي اتجاهاته الفكرية، ومنهجه في تحرير المقال. وهذا ما تحاول هذه الدراسة الوجيزة ان تصنعه بعد أن تتناول الجانب الابداعي.

العامودي قصاصا

كتب العامودي القصة القصيرة، وشهدت مجلة «المنهل» بعض اقاصيصه، فكان منها — على سبيل المثال — أقصوصة «الميراث» المنشورة في عدد المنهل الممتاز عام ١٣٦٥ للهجرة، وأقصوصة «ذكرى» في العدد الخامس من السنة الثانية. إلا أن أشهر ما كتبه من الأقاصيص أقصوصة «رامز» في صحيفة «صوت الحجاز» في العدد رقم ٢٤٤ لعام ١٣٥٥ للهجرة، وأقصوصة «أصدقاء الظروف» بمجلة «المنهل» في عدد شعبان لعام ١٣٧٤هـ الى غير ذلك من النتاج القصصي. ولا نشك في أن صديقه الراحل عبدالقدوس الانصاري كان يستحثه على بذل عناية خاصة بكتابة القصة، وهو الفن الذي احتفى الانصاري به، واستحث الاقلام على إبداعه، وعني بإصدار عدد خاص من «المنهل» عنه.

أما أقصوصة «رامز»، فتحكي قصة رامز اليتيم الذي كفله خاله، ورعاه أحسن رعاية، مما أثار عليه حقد زوجة الخال، فقامت من رامز مقام زوج الأب، وأساءت معاملته. لهذا كان من الطبيعي أن يبحث الفتى المهان المضطهد عن مكان خارج البيت الذي ضاق به، بعد أن مات الخال، وصارت الحياة مع زوج الخال في حكم المستحيل، تحت سقف بيت واحد، فانضم رامز الى القسم الداخلي بمدرسته التي رحبت بمطلبه تقديرا لتفوقه ونبوغه في الدراسة.

وتنقطع الصلة بين رامز وأسرة خاله، الى أن يتخرج طبيبا، ويفتتح عيادة خاصة. وذات يوم يخرج الى زيارة منزلية، لتوقيع الكشف الطبي على احدى المريضات. وكانت المفاجأة حين اكتشف ان هذه المريضة، هي زوجة خاله.

وكما هو الشأن في مثل هذا النوع من القصص المثالي، فان الفتى الطبيب ينسى كل شيء، ويبذل قصارى جهده في علاج زوج خاله، ولكن المرصد يكون أقوى من كل نواياه الطبية، فتموت المرأة، وتترك إبنا لها يرعاه رامز، وفاء لجميل خاله.

وخصائص هذه الأقصوصة الرائدة، هي الخصائص ذاتها التي لازمت قصص مرحلة الريادة، وبدايات الطريق، فهي تذهب مذهب المغالاة في رسم الشخصيات، كما تذهب الى آماد بعيدة في الشر، او الى آماد بعيدة في الخير، مما يصم العمل بالسلبية التي أشار إليها الناقد الدكتور عبدالقادر القط في أحد مؤلفاته النقدية عن القصة المصرية في بعض مراحلها.

كما أن الشخصيات تبدو نمطية الطابع نتيجة لهذه المغالاة، التي لا تتجه الى استبطان الشخصية وتحليلها. ضامة الى عنصر المصادفة الذي يحكم الحدث القصصي، ويخرج به عن قانون السببية، الذي هو القانون الغالب في واقع الحياة.

وحين نعلم أن قصة «رامز» بكل هذا الحجم من المواقف والأشخاص، هي «قصة قصيرة» وليست رواية تستوعب هذا الحجم، فان بوسعنا الوقوف على مدى الحيرة التي لازمت جيل الرواد من كتاب القصة السعودية، وهم يتلمسون الطريق نحو البناء الملائم للشكل، سواء في القصة القصيرة أو في الرواية. وهذا ما نلمسه ايضا لدى أحمد السباعي — يرحمه الله — في أغلب مجموعته «خالتي كدرجان».

بقي — هنا — أن نقرر بأن العامودي يأتي في الترتيب الرابع بين قصاصي مجلة «المنهل»، كما لاحظ ذلك الدكتور منصور الحازمي في كتابه «فن القصة في الأدب السعودي الحديث».

العامودي شاعرا

العامودي رائد من رواد الحركة الشعرية بالمملكة العربية السعودية مع أبناء جيله من أمثال عبدالوهاب آشي، ومحمد حسن عواد، وحسين سرحان، وحمزة شحاته، وغيرهم. وله في كتاب «أدب الحجاز» الذي جمعه ونشره الشيخ محمد سرور الصبان بعض القصائد، من بينها — على سبيل المثال — قصيدة بعنوان «ظلموك يا أم المدائن»، يخاطب فيها مدينة «دمشق» في محنتها إبان الاحتلال الفرنسي لسوريا، يقول في مطلعها:

القوم قومك والبنون بنوك
والطامحون الى العلا أهلوك
ان جَدَّ جِدُّ الأمر يا سورية
فهم الذين جنودهم تحميك
واذا الوغى قد صاح صائحها فلا
تدعو الوغى إلا وقد جاءوك
كم في الحوادث من مآثر جمة
للنابهين النابغين بنيك
والعبقرية والحماسة والنهى
صدق الذين بهم قد وصفوك
أدمشق يا بلد الكرام ومعقل الـ
أبطال في يوم القنا المشبوك

الى أن يقول:

يا موطن الأحرار والسادات من
أهل الوفاء اذا دعا داعيك
أنت الفريدة بالسماحة والندى
بالفضل والعلياء قد عرفوك

وتكشف القصيدة التي منها الأبيات المتقدمة عن خط الالتزام القومي لدى الشاعر، هذا الى الاتجاه المحافظ في البناء والصياغة، والاعتماد على المعنى اكثر من الاعتماد على التصوير الشعري.

وللعامودي قصيدة أخرى تحمل الطابع ذاته يخاطب فيها العثمانيين، محذرا إياهم من مغبة الركون الى الغرب الذي يتربص بالاسلام، ويحثهم على الجهاد، ومقاومة الاحتلال الاوروبي حيثما وجد، قبل القضاء على الوجود الاسلامي ممثلا في الخلافة العثمانية.

يا آل عثمان فالمغرور من غُرَّا
بأهل أوروبة أو عهدهم طرا
أتأمنون لموتورين ديدنهم
ان لا يرى منكم فوق الثرى حُرَّا
تمالأوا فخذوا حذراً فإنهم
يرون إبقاءكم بين الورى ضُرَّا

ايقظتموهم بضرب الهام فانتبهوا
من نومهم ورقدتم أنتم الدهرا

والعامودي في النص المتقدم يمثل فريقا من شعراء العرب كان موقفهم تجاه الخلافة العثمانية، هو موقف المساندة والتأييد والنظر الى الأتراك على أنهم — آنذاك — كانوا رمزا حيا للوحدة الاسلامية برغم عوامل الضعف والتخلف. وكان الأمل يراود هذا الفريق في أن تخرج تلك الخلافة من محنة الحصار الصليبي المتربص بها، ومن ثم تتخلص مما ران عليها من التخلف والجمود.

وقد عالج العمودي شعر الاخوانيات، وكانت له من الرقة والظرف ما يسلكه في عداد الظرفاء لو استكثر من هذا اللون الفكِه من الأشعار. من ذلك أبيات كتبها على رقعة لصديق له، ذهب لزيارته، فلم يجده، ولم يتسنَّ له الاتصال بهذا الصديق هاتفيا، بسبب تعطل هاتف هذا الصديق. يقول العامودي:

سلاما واحتراما واشتياقا
الى استمتاعنا بالالتقاء
لقد طال التنائي يا صديقي
ولم يك دأبنا طول التنائي
ولولا الهاتف الملعون.. كنا
نسائل في الصباح وفي المساء
وقد جئنا لبابك قبل يوم
فقيل خرجتمو بعد العشاء
فعدنا آسفين.. ولم نجدكم
بزهرة بابل ذات الرواء
وعن دار التراث كذاك غبتم
لماذا كل هذا الاختفاء
فعجل يا أخا الأدب المصفّى
ويا رمز المودة والوفاء
بزورتك الخفية دون ريث
كما هو شأن إخوان الصفاء
ولا تنس المكاتب حيث نمسي
بها متسابقين الى الشراء
ولا تنس الزحام وشرب شاي
لذيذ بين أسراب...

والأبيات — الى ما فيها من الظروف — تكشف عن مقدرة العامودي على البديهة والارتجال، بالاضافة الى ما كان يحيط به رفاقه من الدعابة والود، وما كان أكثر هؤلاء الرفاق في داخل المملكة وفي خارجها.

العامودي والرباعيات

ظهرت الرباعيات — منذ القرن الثاني الهجري — على أيدي فريق من شعراء العصر العباسي، أمثال حماد عجرد، وأبي نواس، وأبي العتاهية، كشكل من أشكال التطور التي عرفها الشعر العربي في هذا العصر. وتكثر الرباعيات في ديوان أبي نواس، خاصة في غزلياته وخمرياته، كما يرد الكثير منها في ثنايا الأغاني للأصفهاني وغيره من المصادر الأدبية الأخرى.

ويبدو أن انتشار هذا الوزن في القرن الرابع الهجري — فيما بعد — وإقبال شعراء الفرس والعرب معا على نظمه، قد جعل له شيئا من الاستقلالية، فاختصوه بوزنين غير جاريين على أعاريض الخليل والأخفش، وهذان الوزنان هما:

فعلن فعلن مستفعلن مستفعلن
فعلن متفاعلن فعولن فعلن

والرباعيات كما عرفها تراثنا تتكون من أربع شطرات تتفق جميعا في قافية واحدة، وقد تستقل الشطرة الثالثة بقافية مختلفة.

أما رباعيات العامودي، ومثلها كثير مما شاع لدى شعراء العصر الحديث، فهي تتكون من أربعة أبيات لا أربع شطرات، وتلتزم القافية الموحدة في أعجاز الأبيات لا في صدورها، كما لا تلتزم احد الوزنين اللذين أشرنا اليهما فيما سبق، وإنما تتحرى بحورا شتى من أوزان الخليل.

ويستلفت النظر أن العامودي في الرباعية الواحدة يستخدم كلمة واحدة يكررها في موضع القافية. مثل كلمة «إفكه» في قوله:

ذو الإفك لا يسأم من إفكه
مهما بدا للناس في إفكه
يخال من جهل بأن الورى..
لا يدركون السرَّ في إفكه
أليس هذا منتهى غفلة المـ
ـسكين.. اذ يوغل في إفكه
فلا تلمه — يا أخي — إنه
أحق بالرحمة في إفكه

ومع ان هذا التكرار غير معهود، إلا أن استخدام الشاعر له عن عمد يكسب رباعيته تلك مسحة من الشعبية، مما يذكرنا بأشعار شعبية جارية على هذا النسق.

على أن كل رباعية من رباعيات العامودي تستقل بموضوع خاص. وأكثرها تمضي كالقصيدة تتوالى الرباعيات في داخلها، لتدور حول موضوع واحد. والشاعر لا يعنون لموضوعاته قط، وإنما يترك القارىء يسترسل في قراءاته منذ أول بيت في أول هذه الرباعيات الى آخر بيت في آخر رباعية من مجموعته «من رباعياتي».

وأحيانا يستشعر القارىء بالانتقال والمغايرة في الموضوع. وأحيانا أخرى لا يشعر بذلك، وإنما يتسلل الشاعر بقارئه تسللا خفيا بين دهاليز رباعياته ومسالكها الخفية.

أما من حيث المضمون، فان رباعيات العامودي تدور حول المضامين الآتية:

- المضمون الوطني.
- المضمون القومي.
- المضمون الانساني.
- الحديث عن الشعر والشعراء.

فهو في رباعياته الوطنية يتغنى بحبه له وبمكانته الروحية التي خصه المولى تعالى بها، كموئل للدعوة المحمدية، ومصدر للحب والإخاء والأمن.

وطني يا مثابة الأمن للناس
ويا رائد الوئام الأكيد
رغم كل الخطوب في عالم الفـ
ـتنة.. في عالم الصراع البليد
رغم كل البُغاة في كل أرض
رغم كل البنود، رغم الحشود
وطني! عشت للكرامة، للعز
ة تحيا في ظل أمن وطيد

أما رباعياته القومية، فهي دعوة الى الثأر من العدو وتذكير العرب بنكسة حزيران، والتنديد بإضاعة العرب لحقوقهم، وإذعانهم للهوان، والاكتفاء بالخطب الجوفاء دون فعل، والاستنامة للبأس، والإشادة بتاريخ العرب المجيد، وبكفاح الفدائيين داخل الأرض المحتلة وخارجها. وعلى هذا فان «الرباعية القومية» لدى العامودي تحمل وجهين هما: التنديد والاشادة، وكأنه يرسم الموقف العربي من وجهي السّلب والايجاب.

واذا كان أسلوب الإشادة قد اكتسى بنبرة حماسية خطابية، فان التنديد قد بدا مجلّلا بسواد المأساة، مأساة الواقع العربي المتردي.

مرَّ عامان، والهزيمة ما زا...
لت.. وما زال أمرنا في شتات
مرَّ عامان.. والأناشيد ما زا
لت تخيف العدو بالكلمات
مرَّ عامان.. والخلافات ما زا
لت لدى البعض تزدري بالعظات
الى ما قيل من كلام عن الثأ
ر؟ وأن التحرير — لا ريب — آت

والأبيات ترسم — في تركيز — ملامح الواقع العربي، وتتخذ من التكرار: «مرَّ عامان» إيقاعا موقظا وزاجرا، ومن الفعل: «ما زالت» إشعارا باستمرارية هذا الواقع برغم المأساة، التي لم يبعد العهد بها.

أما الرباعية الانسانية، فتمثلها مضامين مختلفة، منها ما كان في الشكوى، ونقد النماذج الانسانية المريضة، بما تنطوي عليه نفوسها من الختل والنفاق، وتعشق المال على حساب القيم، وهذا تيار شائع لدى الكثيرين من الشعراء السعوديين من جيل العامودي، ومن جيل بعده، ويتضح لدى

حسين سرحان ومحمد حسن فقي، وحمزة شحاته، والقرشي. وهو يتحول الى صراخ حاد، رافض للمهادنة لدى الشاعر حمد الحجي.

ومن النمط الانساني في رباعيات العامودي ما انصرف الى «التأمل الفلسفي»، كالحديث عن جوهر السعادة، ونقد الواقع الانساني، بما سرى اليه من تيار الشك والحيرة، التي تنوش النفس الانسانية في خضم المذاهب الوضعية، وسباق الشرق والغرب في الفضاء، وفقدان انسان العصر لقيم العدل والسلام، وشقائه بعلم مدمر، وثراء مادي خلا من كل مضمون انساني او روحي، مما يكشف عن افلاس حضارة العصر، أو ما عبَّر عنه الشاعر «إليوت» بالأرض الخراب، وعالم الرجال الجوف. يقول محمد سعيد العامودي:

هو عصر الفضاء، والغرب يعتز
بأمجـــاد غـــزوه وغزاتـــــه
هو عصر الصعود للقمـــر السَّا
خـــر في رائديه في سبحاتـــه
هو عصر الفتــوح في العلم لولا
ما يشوب العلـــم من نزواته
فإذا ما اشتكى الضياع فمن صُنْـ
ـع يديه، إمعانـــه في شكاته

وتمضي الأبيات في إيقاع عميق هامس، غير هادر ولا صاخب، والتعبير — وان لم يعتمد «الصورة» فقد اتكأ على التأثير بإيقاع الكلمة ممثلا في التكرار اللفظي والقافية ذات الكلمات الممتدة الأحرف، المنتهية بهاءٍ توحي بالنشيج والآهة الحزينة.

أما رباعيات «الشكوى من الناس»، ففيها إلمامات بشعر أبي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري، وتلك مدرسة — في تراثنا — انطوت على ما يشبه المحاكمة الصارمة للانسان، في قالب مزيج من التفلسف والتسخط.

واذا كان ما قدمنا من مضامين في رباعيات العامودي يمثل محاور اساسية فيه، فثمة مضامين اخرى، تبنتها رباعياته كحديثه عن «الشعر والشعراء»، وحديثه عن «غزل مضت أيامه»، ورباعياته في الابتهال الى الله، وقد ختم بها مجموعته.

وحديث العامودي عن «الشعر والشعراء» — كما تعبر عنه رباعياته يعكس رأيه في ماهية الشعر، وهذا موضوع طريف لدى جمهرة من الشعراء في العصر الحديث، منهم — على سبيل المثال — الشاعر علي محمود طه حيث نجد له الكثير من المواضيع والقصائد التي تتحدث عن الشعر والشعراء. ويرى العامودي ان الشعر هو ما ينطوي على الوجدان النابض الفعال، ويعبر عن المعاني الرفيعة، ويلتزم الصدق في الأداء، ويتبنى واقع الجماعة وهمومها وتطلعاتها. ولا يخلو حديث العامودي عن الشعر من نقد للواقع الأدبي الذي تردَّى اليه الشعر:

قد سئمنا من زخرف القول مكرو
راً معادا، تأباه روح زمانـــه
أي شعر اذا خلا الشعر من نبـ
ـض أصيل ينـــم عـــن فنّانـــه؟
أي شعر اذا خلا الشعر من معـ
ـنى جميل، يشيع فـي ألحـــانـه؟
أي شعر يصوغـــه شاعـــر إن
لم يكن شعره صـــدى إيمانـــه؟

التشكيل الصياغي

ويعتمد — كما مضى القول على «التأثير بالكلمة»، وعلى «التأثير بالمعنى»، دون اتجاه بالتشكيل الى التصوير. وهذا النهج من التشكيل يعتمد المباشرة اساسا للصياغة، ولولا نبض اللغة، وإيقاع المفردات والتراكيب، لوقع هذا اللون الشعري في أسر النثر المنظوم، أو النظم النثري.

وفي صياغة العامودي تلقانا بعض التعابير التي تعكس اصداء مقروءاته التراثية في أشعار الأقدمين، وأمثالهم النثرية السائرة.

فمن هذا على سبيل المثال:

- قوله في بعض رباعياته: ما انصف الناس.. التي تذكرنا بمطلع المتنبي الشهير في هجاء ضبة:

ما أنصف الناس ضبة.

قوله:

حبك الشيء، كالذي قيل في الأمـ
ـثال يعمـــي عـــن أي شيء سواه

وهذا نظم للمثل الشهير:

حبك الشيء يعمي ويصم.

- قوله:

(ولا يقيم على ود..)

وهو تركيب يذكرنا بقول الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد لـــه
إلا الأذلان عير الحـــي والوتـــد

- قوله:

مـــا عيب مـــن نقص كنقـــ
ـص القادريـــن على التمـــام

وفيه نظره لقول أبي الطيب:

ولـــم أر في عيوب الناس عيبـــا
كنقص القادريـــن علـــى التمـــام

- قوله:

غير مُجْد أن يظهر الود من...

وقد تأثر صياغيا ببيت أبي العلاء المعري الشهير

غير مُجْد في ملتي واعتقادي...

العامودي مقاليا

مضى القول بأن «المقال» هو أبرز الأشكال الأدبية التي عالجها العامودي. ونحاول — هنا — أن نصنف هذه المقالات — من حيث مضامينها — الى الأنواع الآتية:

- مقال عرض الكتب.
- المقال التاريخي.
- المقال الاسلامي.
- المقال الأدبي.

مقال عرض الكتب:

يشكل هذا النوع الأعم الأغلب من مقالاته، وتعكس لنا هذه المقالات مقروءات العامودي، واهتماماته وثقافته وأسلوب قراءته.

وأول ما نلحظه — في ضوء استقصائنا لمقالاته تلك — أن العامودي شديد الاهتمام بقضايا الواقع الاسلامي، واهتمامه بالفكر الاسلامي بشكل عام.

فمن تلك — مثلا — عرضه بكتاب «خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث» فهو كتاب يقع في دائرة اهتمام الكاتب بقضايا الغزو الثقافي والفكري للعالم الاسلامي، وما يصاحب ذلك من مسائل التبشير والاستشراق، وقد اولاهما الكاتب عناية خاصة. وقد ضاعف من هذه العناية اشتغال العامودي بواقع العالم الاسلامي من خلال رابطة العالم الاسلامي، وعمله الدائب المخلص في حقل الصحافة الاسلامية، وعلاقاته الواسعة بكبار المفكرين الإسلاميين وأقطاب الدعوة الإسلامية.

وعرض العامودي للكتب يعتمد على تلخيص مركز منظم لمحتواها وإبراز أهم جوانب هذا المحتوى، وهو ما لا يتسنى الا بقراءة واعية شاملة. وقلما يتدخل الكاتب أثناء العرض بنقد أو تعليق، وكأنه يريد أن يتيح فرصة الاتصال المباشر بين القارىء والكتاب، دون أن يفرض عليه وجهة نظر معينة، اللهم إلا ما يقدم به للكتاب قبل عرضه، وهذا لا يكون في كل الأحوال، إمعانا منه في الحرص على موضوعية العرض وحيدته.

يقول — مثلا — في تقديمه كتاب «الوليد بن عبدالملك» للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف «ظاهرة جميلة جدا في عالم التأليف اليوم هو ما نراه من عناية ملحوظة بأدب التراجم، واحتفاء بالغ بتاريخ الاعلام. ومن الجدير بالذكر أن يكون لأعلام العرب نصيبهم في هذا المجال موفورا يتمثل في الكثير من الدراسات التاريخية المركزة، يعالجها بالأسلوب الحديث نخبة الكتاب والباحثين».

فتقديمه هنا يكشف عن احساسه بضرورة التعريف بأعلام العرب، وما ينبغي ان يكون عليه التعريف من الوضوح والتركيز.

وبين يدي عرضه لكتاب «نحن والقرآن» لمحمد عبدالله السمان، يقول: «مشكلة العالم الاسلامي الاساسية، مشكلة تخلفه المشاهد في العصر الحاضر، والذي هو — دون شك — ثمرة عهود طويلة موغلة في القدم، هذه المشكلة لن تعدو، في حقيقتها، أن تكون سوى مشكلة انحراف المسلمين أنفسهم عن تعاليم الإسلام.».

فهو — هنا — يشخِّص الداء، ويفسر أسبابه في وضوح رؤية وحذق وايجاز. وبهذا تكون مقروءاته متسقة مع اهتماماته، وتكون مقالاته في عرض الكتب دعوة الى قراءتها، ودعوة الى تزويد القارىء المسلم — عن طريق القراءة — برصيد خاص مميز من الثقافة، يقصد به توعيته، وفتح بصيرته وبصره على الواقع بأدوائه ودوائه.

بقي القول بأن العامودي الذي عُني بعرض الكتاب المطبوع قد عني — أيضا — بعرض الكتاب «المخطوط» وان يكن نصيب المخطوط نادرا ندرة ملحوظة فقد عرض لنا مخطوط «موائد الفضل والكرم» للعلامة الهندي السلفي الشيخ عبدالستار الدهلوي المتوفى عام ١٣٥٥ للهجرة، والذي ترك مكتبة نفيسة حفلت بالذخائر المخطوطة، ووقفها على الباحثين. وموضوع كتاب الدهلوي هو «ذكر البيوت المشهورة من سكان البلد الحرام». وقد تتبع المؤلف في كتابه حركة الهجرة من الحجاز واليه عبر السنوات الطويلة، وما أحدثته هذه الهجرة من النتائج.

وقيمة مثل هذا المقال، انه يضع بين يدي القارىء تعريفا بمخطوط لا يتيسر الحصول على مثله إلا للقلة من الناس. وبذا قرّب المؤلف المعرفة النادرة للقارىء، وحفز ذوي العزم والعلم على اجتلاب المخطوط وتحقيقه ونشره، ليصبح فيما بعد كتابا مطبوعا سيارا في فلك التداول والاقتناء، ولو قد عول المؤلف — في مقالاته — على الإكثار من تناول المخطوط لحقق — إذن — فائدة جمة.

المقال التاريخي

وللمقال التاريخي علاقة بعناية العامودي بالكتاب التاريخي في النوع السابق من مقالاته. كما أن له — ايضا — علاقة باهتمام العامودي بدراسة التاريخ. وهي عناية ميزت خط الفكر في الأدب السعودي الحديث.

ولعل من أهم المقالات التاريخية لدى العامودي: مقالة: «من تاريخ الصحافة في بلادنا»، ومقال «أحداث تاريخية في الحج»، هذا الى ترجماته لبعض الأدباء، مما سوف نعرض له في باب «المقال الأدبي» لأنه ألصق بدراسة الأدب.

وأهمية مقال «من تاريخ الصحافة في بلادنا» — الذي نقصر عليه القول — انه صادر من احد رواد الحركة الصحفية بالمملكة، وانه من أوائل المقالات التي ألمت بتاريخ الحركة الصحفية، فوضعت أمام الباحثين في هذا الحقل اضاءة مفيدة، كما تبرز أهمية هذا المقال في رجوعه الى مصادر صحفية، اذ نقل عن صحيفة «شمس الحقيقة» التي صدرت في عام ١٣٢٧ للهجرة في العهد العثماني، وكانت تصدر باللغتين العربية والتركية، مرة كل أسبوع مؤقتا، لصاحب امتيازها ومديرها «محمد توفيق مكي»، ونائب مديرها «ابراهيم أدهم». وكانت لسان حال جمعية الاتحاد والترقي التركية بمكة. وقد صدرت لعدة شهور ثم توقفت — بعدها — عن الصدور.

كذلك عُني المقال بتصحيح تاريخ صدور صحيفة «حجاز» الصادرة في العهد العثماني. فقد اثبت انها صدرت في عام ١٣٢٦ للهجرة، وليس في سنة ١٣٠١ للهجرة كما ذهب رشدي ملحس في «تاريخ الطباعة والصحافة في الحجاز». كذلك تبدو أهمية المقال في ربطه بين مستوى الصحافة السعودية — في العهدين العثماني والهاشمي — ومستوى التعليم آنذاك.

وهنا نشير الى نقطة هامة تتعلق بتهيئة مصادر المادة الأدبية للباحثين في الأدب السعودي. ذلك انه ينبغي على أجيال شباب الباحثين السعوديين أن يعملوا على استفراغ المادة الأدبية الموزعة في الصحف السعودية الرائدة وفي مقدمتها صحيفتا «صوت الحجاز»، و «أم القرى»، بعد ما صنع الدكتور منصور الحازمي ببلوغرافيتين لهاتين الصحيفتين، مما يسر مهمة الباحثين في جمع شتات هذه المادة في كتب.

المقال الإسلامي

ان الركيزة الأساسية — في هذا اللون من المقالات — تكمن في عناية الكاتب بحركة التأصيل للوجه الاسلامي، في واقعه وثقافته، ومحاولة الكشف عن مصادر المسخ والتشويه للوجه الاسلامي المضيء الاصيل. ومن هنا — كما أسلفنا — عُني بحركات التبشير والاستشراق، كما عُني بدراسة أهمية القيم الخلقية في بناء الحضارات. وقد سلفت أمثلة لجانب الغزو الفكري، وبقي ان نعرض للجانب الثاني من خلال مقال له بعنوان «حضارة بلا أخلاق». يقول: «والواقع ان العلم والأدب والثقافة والاقتصاد والعمران اصول لا شك فيها لكل حضارة قديمة او حديثة.. ولكن هل هذا صحيح ان هذه وحدها هي الأصول الأولى لكل حضارة؟ ثم يجيب عن سؤاله بقوله:

«ان الجواب على مثل هذا السؤال قد يكون عسيرا لدى أولئك الذين تعودوا — بدافع من سوء الفهم او بدافع من التقليد — ان ينظروا الى الحضارة على أنها مظهر مادي لا أكثر ولا أقل».

ثم ينقد الواقع الحضاري فيقول: «ان العنصر الاخلاقي مفقود في حضارة اليوم، وهذا ما لم يعد فيه شك. وهذا ما أصبح يشكو منه عقلاء الأوروبيين والامريكيين أنفسهم.»

وحديث الأخلاق والحضارة — لدى العامودي — نابع من تصور إسلامي، فالإسلام — في مبادئه النظرية وفي واقع مجتمعاته تاريخيا — لم يؤسس حضارته على العلم والاقتصاد وحدهما، وإنما كان للرصيد الاخلاقي وجود يقوم من الدولة الاسلامية والمجتمع الإسلامي مقام الاساس. وفي شعر العامودي — وقد أشرنا الى بعض هذه الجوانب — ما يؤكد أن هذاالتصور الإسلامي كان المنطلق لأدبه: شاعرا، كما كان منطلقا لنثره على نحو ما نرى هنا.

المقال الأدبي

يلم العامودي بجوانب من التاريخ الأدبي والنقد الأدبي في هذا المقام، ويحتل هذا النوع المقالي مكانا بارزا بين شتى الأنواع المقالية الأخرى. ومن بين هذه المقالات:

- في المقالة الأدبية.
- مهمة الأديب في الحياة.
- شاعر الاسلام، وهو عن محمد إقبال.
- كلمة عن شوقي.
- الشاعر محمود غنيم.
- محمد رضا الشبيبي.
- شعراء من الجنوب.

الى غير ذلك من المقالات الأدبية. وقد نشر العامودي هذه المقالات في صحيفة «صوت الحجاز»، وفي مجلة «المنهل»، ثم جمعها في كتابيه: «من أوراقي»، و «من تاريخنا». وتتسع هذه المقالات لتشمل دوائر الأدب العربي الحديث بعامة، والأدب السعودي بخاصة، والأدب العربي القديم.

ونستطيع على وجه التقريب — ان نحدد أسماء الشعراء الذين أعجب العامودي بهم، فمنهم: طرفة ابن العبد، وشوقي، وحافظ، واحمد زكي ابو شادي، وايليا ابو ماضي، ومحمود غنيم، والشبيبي. كما اعجب بشاعر باكستان محمد إقبال، بما لديه من المعاني الاسلامية.

وبعد..

فبم يتميز المقال في أدب العامودي بعامة؟ إن أول ما يتميز به، هو تلك العفوية في التعبير وفي العرض. فهو يمضي بصياغة سلسلة سهلة، وكذلك يفعل فيما يصدر عنه من معان وأفكار. كذلك تميل هذه المقالات الى القصر والتركيز، والخلو من المقدمات التي لم تعد طبيعة العصر تستوجبه. هذا الى وضوح المدار الاسلامي والتصور الاسلامي، مع الارتباط بالواقع الثقافي والاجتماعي والسياسي □

صفحة في اللغة:

أخطاء لغوية شائعة

اعداد: نجيب القضيب - هيئة التحرير

* ان حال اللغة العربية اليوم ليس أحسن حظا مما كانت عليه بالأمس القريب، فقد شاع فيها كثير من الأساليب الخاطئة خاصة في لغة الصحف والمجلات، وفي نشرات الأخبار، وسوف نحاول خلال هذه الوقفة القصيرة أن نأتي ببعض الأمثلة، وهدفنا من وراء ذلك هو التنبيه لا تتبع اخطاء الآخرين. ومن هذه الأخطاء الشائعة:

«احاطوا المحادثات بالكتمان»

والصواب: **احاطوا الكتمان بالمحادثات**

والتعبير الأول يفهم منه أن المحادثات أصبحت كالحائط للكتمان، وهذا المعنى هو عكس المعنى الصحيح وهو «احاطوا الكتمان بالمحادثات» أي أنهم جعلوا الكتمان يحيط بالمحادثات ليحفظها من الذيوع والانتشار والتسرب. وقد ورد في القرآن الكريم في سورة الاسراء ﴿**واذ قلنا لك ان ربك أحاط بالناس**﴾ آية ٦٠. وقد ورد في تفسير الجلالين «علما وقدرة فهم في قبضته فبلغهم» وهذا هو التعبير الصحيح.

* ومن الأخطاء الشائعة أيضا:

«قارن فلانا بفلان»

والصواب: **قابل فلان بفلان**

كثيرا ما يستعمل هذا الفعل (قارن) لبيان الفرق بين شيئين، فمثلا يقال (قارن فلانا بفلان أو قارن بين فلان وفلان) من حيث الخلق او العقل او العمر او الطول وما شابه ذلك، ولكن هذا التعبير ليس صحيحا، لأن الفعل (قرن) يأتي بمعنى (وصل) أو (جمع) فيقال (قرن بين الحج والعمرة) اذا جمعهما، وقرنت الشيئين اقرنهما قرنا، اذا جمعتهما في حبل واحد، قال تعالى في سورة ابراهيم ﴿**وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد**﴾(آية ٤٩)، أي مشدودين وأيضا يقال (قارنته قرانا) أي صاحبته، وكذلك يقال (اقترن فلان بفلانة) أي تزوجها أي صار قرينا بمعنى مصاحبا، يقول الشاعر:

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتـــدي

ولكن في المعجم الوسيط يجوز أن نقول «قارن الشيء بالشيء» بمعنى وازنه به. وقال ان هذا المعنى محدث.

* ومن الأخطاء الشائعة قولهم:

فلان ذو كفاءة عالية

والصواب: **فلان ذو كفاية عالية**

الكفاءة تعني المماثلة والمساواة، في حين ان الكفاية تعني القدرة والاستطاعة، ومن خلال هذا المعنى يتضح لنا أن التعبير الأول غير صحيح لأنه لا يتصور ان فلانًا هو صاحب مساواة او مماثلة عالية. في حين أن المعنى الثاني هو الصحيح لأنه يعقل أن يكون فلان ذا قدرة واستطاعة على اداء العمل. ولكن أجاز مجمع اللغة العربية في القاهرة استعمال «الكـفء» و «الكفاءة» بمعنى الكفاية والكافي لأنه يجانس العمل ويرتفع الى مستواه.

واعتقد أن هذا التعبير يجوز في بداية العمل فقط، حيث يكون المتقدم للوظيفة مساويا لها «فكما تحتاج المرأة الى الكفاءة بينها وبين الرجل، فكذلك الحال بين الرجل والوظيفة» على قول الدكتور مصطفى جواد □



الترجمة والمترجم

بقلم: الأستاذ مجيد الماشطة / الجامعة المستنصرية - بغداد

يقول الشاعر الانجليزي «الكسندر بوب» (١٦٨٨ــ١٧٤٤م) عن ترجمته لالياذة هوميروس: «في بداية ترجمتي للالياذة، تمنيت لو أشنق مائة مرة!»

وبالمقابل، تقول احدى نشرات الإحصاء لليونسكو ان عام ١٩٧٨م شهد ٥٧١٥٨ ترجمة في ٧١ بلدا اسهم في تغذية هذا الإحصاء. ومن المتوقع طبعا أن يرتفع هذا الرقم الى مستوى اعلى بكثير في الأعوام القادمة.

ما الترجمة؟ كيف كانت البداية؟ من السهل ان نعرِّف الترجمة بأنها عملية نقل نص ما من لغة الى أخرى. اللغة إذن عماد الترجمة. يقول «جي سي كاتفورد»: «الترجمة عملية تتحقق باللغات، أي أنها عملية استبدال نص في لغة ما بنص من لغة أخرى. ومن الواضح إذن أن أية نظرية للترجمة لا بد من أن تعتمد على نظرية للغة.. نظرية لغوية عامة.»

أما بداية الترجمة، فكانت كما هو معروف في وادي الرافدين. وتقول دائرة المعارف الامريكية صفحة/١٢، مجلد/٣٧ في تحديدها لبداية عملية الترجمة:

«وجدت عدة مقتطفات من ملحمة جلجامش السومرية في أربع أو خمس لغات آسيوية في الألف الثاني قبل الميلاد».

ولا يعرف بالضبط ما اذا كانت هذه المقتطفات قد ترجمها السومريون أنفسهم او الناطقون بتلك اللغات الآسيوية. المهم في الأمر ان العرب هم الذين حملوا الراية في الحقبة التاريخية اللاحقة. وبهذا الصدد تقول دائرة المعارف الامريكية صفحة/١٣ من المجلد نفسه:

«أول جهد جدي في الترجمة جهد العرب الذين ترجموا الفكر الاغريقي في سائر الحقول العلمية والفلسفية. ولقد شهدت القرون الوسطى حركة ترجمية ضخمة من العربية الى اللاتينية، خاصة في قرطبة».

وخلال هذه القرون الطويلة، ظلت الترجمة تترنح بين التزمت والتصرف حسب طبيعة المادة المترجمة، وحسب مدى الالتزام بمبدأ الأمانة في نقل النص. فالتشدد مطلوب في ترجمة العلوم بشكل عام، في حين ان الأمانة في ترجمة الشعر «خيانة»، كما يقول البعض. إضافة الى هذا، تتحدد الترجمة احيانا بطبيعة اللغة المنقول عنها. ويقول

«مارتن لوثر» في دفاعه عن ترجمته للكتاب المقدس من اللاتينية الى الالمانية:

«لا يتوقع المرء من أسلوب النص اللاتيني ان يعلمك كيف تتكلم الألمانية. عليك ان توجه كلامك الى الأم في البيت والى الأطفال في الشارع والى رجل السوق. إن الأسلوب اللاتيني يعيقك عن التحدث بالالمانية بصيغة رفيعة».

وقد تتحدد الترجمة ايضا بالوسط الاجتماعي للغة المنقول اليها. ففي ترجمة رائعة شكسبير: Shall I compare thee to a Summer's Day) ترجم البعض كلمة «Summer» الى «صيف»: (هلاّ أقارن حسنك الباهي بيوم صيف قد تجلى؟» في حين يرتأي البعض ترجمتها الى لفظة «ربيع» لأن صيف الانكليز غير صيف العرب!

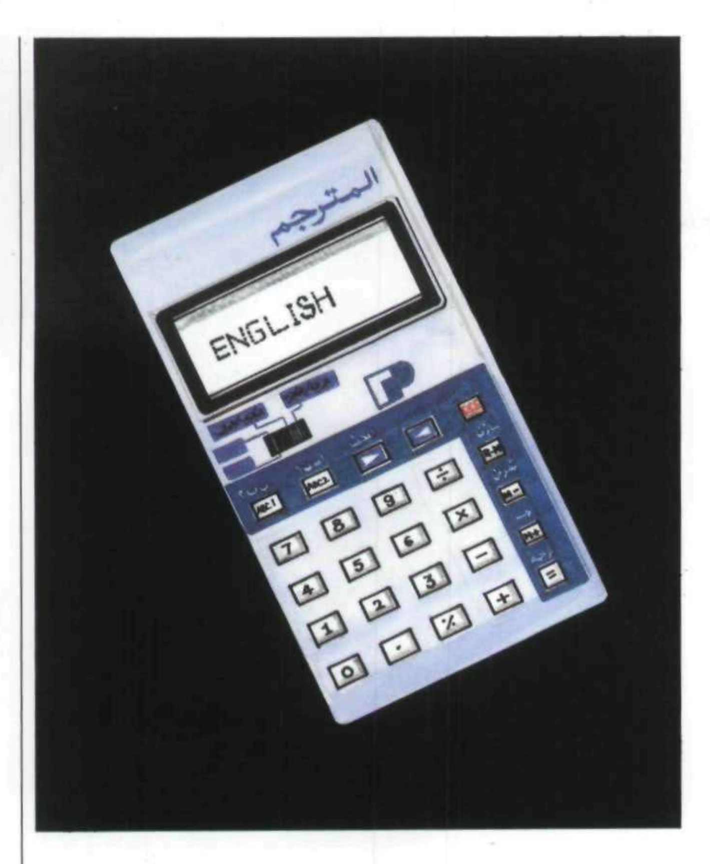
كما تعاني الترجمة في القرن العشرين من مسألة وضعها في كفة الميزان الصحيحة: هل الترجمة علم أم فن؟ أثار هذا السؤال الكثير من الجدل. فبينما تصر النظرة التقليدية على اعتبار الترجمة فنا، يتبنى البعض لها مبدأ العلمية المتمثل بكتاب «نحو علم للترجمة» تأليف «يوجين نايدا» وترجمة «ماجد النجار».

وعلى الرغم من جدية الجهود المبذولة لتصنيف الترجمة علما له تقنيته وتنظيره وتحليلاته، يبدو أن النظرة التقليدية هي الأكثر اقناعـا. فالترجمة تبقـى فنا مهما هيأنا لها من أجهزة ومختبرات ومعادلات ونظريات.. شأنها في ذلك شأن المعمارية. فالمعمارية فن وتبقى فنا مهما أدخلنا فيها من تقنيات علمية. يقول «بول فيغورا»:

«المعمارية ليست مجرد علم تطبيقي. انها تستمد روحها من القيم الاجتماعية والجمالية التي لا مكان لها في منطق العلم. وبوسع الترجمة ان تستمد تقنيتها من اللسانيات ومن مختلف حقول المعرفة الأخرى. إلا أنها لن تصبح بذلك علما.»

والواقع، فان بقيت المعمارية فنا على الرغم من اعتمادها الكلي على التقنيات والطرائق العلمية المرموقة الموثقة، فان هذا أقصى ما نتوقع من الترجمة ان تصل اليه على المدى المنظور والمدى غير المنظور. ان العائق الأساس أمام انتقال الترجمة الى صف العلوم هو مسالة الاختيار. فالاختيار كما يقول بول فيغورا: «مسألة مركزية في الترجمة وظاهرة مرفوضة في العلم». نقول في العلم: ٣+٤=٧. ولا مجال هنا للاجتهاد ولا لمراعاة الزمان والمكان. أما الترجمة ففيها أكثر من خيار وفيها أكثر من بديلة تعرض نفسها أمام المترجم. وبهذا تكون الترجمة عملية معاناة ومخاض لاختيار اللفظة المثلى. ويكمن ابداع المترجم في الاختيار الأمثل ولا أقول الاختيار الصحيح لأن الاختيار الصحيح موجود في العلم فقط.

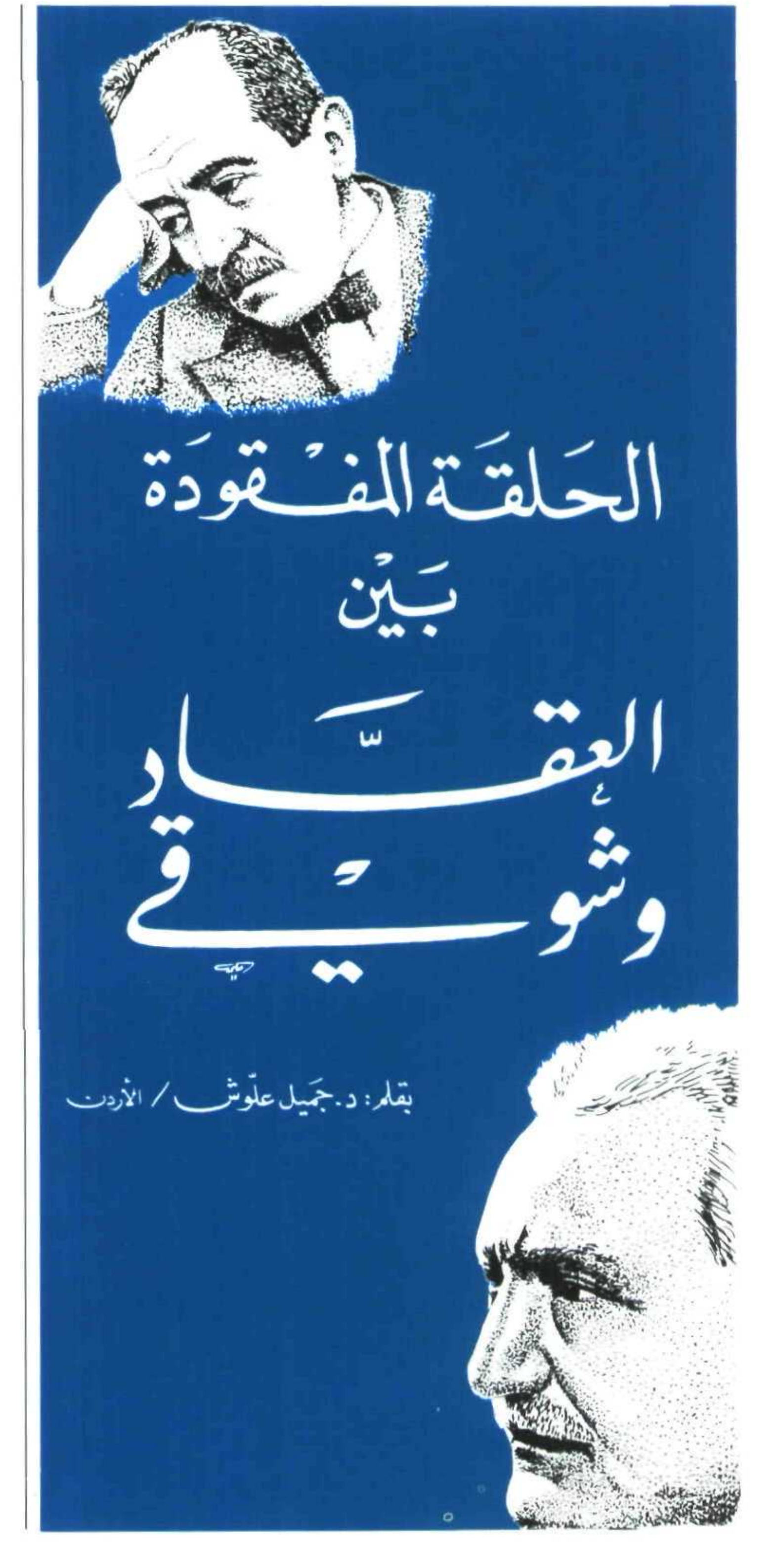
إن الحديث عن تقنية الترجمة يجر حتما الى الحديث عن الترجمة الآلية. فللترجمة الآلية أهمية متنامية يوما بعد يوم.



وهي تستخدم حاليا في النشرات الجوية والبيانات المصرفية واصدار التعليمات ذات الصيغ المحددة.. ماذا يعني كل هذا؟ هل بدأت الترجمة الآلية تحل تدريجيا محل المترجم؟ أبدا، فالترجمة الآلية تبقى ترجمة آلة مهما تطورت العقول الالكترونية في قادم الأيام. والآلة كما هو معلوم لا تحلل: انها تحسب وتخزن وتتذكر فقط. بوسعها مثلا ان تترجم جملة «سيكون الجو غائما» لأنها مغذاة سلفا بجميع مفردات هذه الجملة، لكنها قد تقصر في ترجمة جملة: «سيخلو له الجو» لعدم استطاعتها أخذ السياق بنظر الاعتبار في عملية الترجمة. وبعبارة أخرى، تستطيع الآلة نقل المعاني القاموسية بسهولة، غير أنها تجد صعوبة في نقل المعاني المجازية.

وينتظم المترجمون في مختلف انحاء العالم في مؤسسات تعينهم على تطوير مهنتهم وبلورة طاقاتهم. فهناك الاتحاد العالمي للمترجمين الذي يصدر مجلة «بابل ـــ Babel» ذائعة الصيت. وهناك البلدان التي تتعدد فيها مؤسسات أو نواد للترجمة التي تشكل حلقات وصل بين دور النشر والمترجمين، وهناك ايضا النقابات التي لا تسمح بالعمل في حقل الترجمة لغير منتسبيها.

ويتيه في هذا الخضم، المترجمون الى العربية، الذين آن الأوان لهم لأن ينتظموا في مؤسسة أو رابطة تأخذ بأيديهم وتنسق جهودهم. حبذا لو بادر الحريصون على مسايرة اللغة العربية لمختلف التطورات الاجتماعية الى تبني فكرة انشاء هذه الرابطة لما في ذلك من خدمة جليلة للغتنا الجميلة ومن دفع لعملية الترجمة نحو الأفضل والأمثل..□

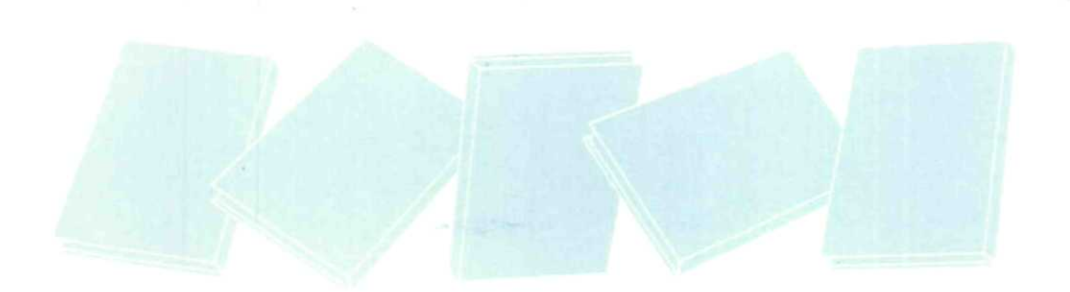


كنت وما برحت منذ أن تعلقت بالأدب وأولعت بقراءة الشعر ميالا لتحكيم المقاييس المعروفة وإعمال القواعد المقررة في تقييم الشعر والموازنة بين الشعراء. وكنت وما برحت أضيق ذرعا بكل من يحاول التخلص من هذه المقاييس والضرب بها عرض الحائط، تذرعا بأن الأذواق متباينة والأمزجة مختلفة، وأن الذي يرضي زيدا ليس من شرطه أن يرضي عمرا لأن لكل منهما موقفا مستقلا بل ذوقا متميزا، الى غير ذلك من الحجج والاحتجاجات التي قد تقنع الغِرّ وغير المتمرس وكل ذي غرض خاص به، ولكنها لا تقنع البصير بهذه الصناعة الخبير بمداخلها ومخارجها.

ولقد قدر لي أن أقرأ خلاصة ما كتبه العقاد عن شوقي حين وقع بين يدي كتابه المعروف: «شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي» منذ أكثر من ثلاثين عاما. وأحسست يومها أن العقاد لا ينقد بل هو ينخس شوقي بالدبابيس والإبر وأنه يسدد حسابا قديما ويشفي احقادا دفينه. وإلا فان العقاد تحدث عن طوائف من الشعراء قدماء ومحدثين، وأبدى آراءه فيهم سلبا أو ايجابا ولكنه لم يواجه واحدا منهم بما واجه به شوقي من هذه النقمة العارمة.

وقرأت بعد ذلك ما كتبه العقاد عن شوقي في « الديوان » وفصول من النقد عند العقاد الذي جمعه محمد خليفة التونسي، وما أدير حول الموضوع في العالم العربي من دراسات وأبحاث، فرأيت عجبا من العجب، فالذي يقوله العقاد ليس ضربا من النقد أو التقويم او التحليل، بل هو غارات شعواء وهجمات شرسة واعتداءات منكرة يرافقها ما يرافق الاعتداءات من تسويفات واحتجاجات وذرائع ومعاذير، وهي في جوهرها لا تعدو ان تكون اعتداءات سافرة.

إن العقاد يتهم شوقي بأنه لا يملك الطبيعة الفنية المواتية، وبأن شعره لا يعبر عن شخصيته لأنه من شعر الصنعة، وبأنه في شعره يُعنى بالعرض دون الجوهر وبالمحسوس دون المعقول، وبأن قصائده لا تتوفر فيها الوحدة العضوية، وأنها تشكو التفكك والاحالة والتقليد والسطحية الى غير ذلك من التهم التي شهد النقاد بفسادها وعدم صدقها كما سنبين فيما بعد.



ولـم يكتف العقاد بذلك بل تجاوزه الى الهجوم على شخص شوقي فاتهمه بوطنيته ووصفه بأنه تركي متمصر لا يملك شعور المصري الأصيل، وأنه كان من رجال البلاط فلا شأن له الا خدمة سيده، فهو على زعم العقاد يمثل شخصية «التشريفاتي» الذي لا يملك شخصية مستقلة ولا شعورا متميزا.

فالعقاد يهاجم شوقي في شعره وفي شخصيته على أساس أن الشعر لا بد أن يكون صورة صادقة عن الشخصية، فيقع في التناقض على الرغم من كل ما يسوق من دعاوى وما يحتج به من اقيسة تتلبّس لبوس العقل والمنطق ويبدو هذا التناقض في المظاهر التالية:

* يزعم العقاد ان شعر شوقي لا يصور شخصيته ولا يعبر عن نفسه. ثم ما يفتأ أن يصف شوقي بأنه شاعر البلاط الملكي او الشاعر التشريفاتي، وأن شعره صورة لشخصيته التشريفاتية هذه. فكيف يكون شعره صورة عن شخصيته في آن ولا يكون صورة عنها في آن آخر؟
* لقد مدح علي الجارم الأسرة المالكة بأكثر مما مدحها شوقي بل تخصص في مدحها. وعلى الرغم من ذلك لم ير العقاد حرجا في أن يثني على الجارم وان يتفضل بكتابة مقدمة ديوانه. وكذلك فعل بالنسبة للشاعر عزيز أباظة. فقد مدحه وأشاد بفضله في أكثر من مناسبة على الرغم من أنه كان تركيا متمصرا كشوقي وكان ممن يمدحون الأسرة الملكية.
* ان من يمعن النظر في ديوان العقاد يجده أراق مدادا كثيرا في مدح الملكين السابقين فؤاد الأول وفاروق الأول. فليس ثمة قصيدة تقال في مناسبة وطنية أو أدبية أو اجتماعية أو غيرها إلا ويعرج فيها على الذات الملكية، وبمدح يفتقد قوة شوقي ورصانته وأنفته.
* والعقاد يسوغ ذلك كله بأنه لا يعترض على المدح من حيث هو مدح بل من حيث هو قول يدخله الصدق والكذب، فاذا كان صادقا فهو جائز ومقبول. ولسنا نخالف العقاد في قوله بأن الصدق هو مناط القضية. فالصدق هو مناط القضية حقا ولكن اعتراضنا ينحصر في نقطتين:

الأولى ـــ الزعم بأنه صادق في مدحه وان شوقي كاذب فيه.

الثانية ـــ كيفية قياس عنصر الصدق.

أمّا بشأن النقطة الأولى فليس من حق العقاد ان يزكي نفسه ويكذب الآخرين في قضية لا يحق له ان يكون الحكم فيها لأنه مشترك في الخصومة والخصم لا يصح له أن يكون خصما وحكما في الوقت نفسه.

أما بشأن النقطة الثانية فان لقياس عنصر الصدق في الشعر وسائل غير تلك التي نعرفها في حياتنا العادية. فربما كان الشاعر صادقا وجاء شعره هزيلا سقيما باردا، وربما كان كاذبا وجاء شعره جيدا. ذلك لأن العملية الابداعية عملية معقدة لها عناصر ومقومات كثيرة من جملتها الصدق، ثم أن الشاعر يستطيع ان يتمثل المواقف وأن يصور القبيح في هيئة الحسن والحسن في هيئة القبيح. ولولا ذلك لما كان في وسعه نظم الشعر التمثيلي والمسرحي والملحمي الذي ينطق فيه بألسنة أشخاص مختلفي المنازع والمطالب. ولقد نظم شوقي هذا الشعر ببراعته وبقدرته على تمثل المواقف، لا بنياته السليمة ولا بأمانيه الطيبة. فليس أعاظم الشعراء هم أصدقهم سيرة وأصفاهم سريرة، بل هم أقدرهم على التصرف بأفانين القول وأكثرهم ملاحظة لنوازع النفس البشرية ومعرفة بحقائق الحياة.

ولست أرى المجال متسعا لمناقشة العقاد في كل التهم التي رمى شوقي بها، والتي أشرت اليها في بدء المقال، فذلك يقتضينا التوسع والتفصيل. ولكني أقول أن شوقي ليس نكرة من النكرات حتى يقول العقاد رأيه فيه دون أن يشعر احد أو دون أن يستفز احدا، فإنه حين يتهم شوقي كأنه يتهم كل من بايعه بإمارة الشعر وكل من أحبه أو أعجب به وأولع بقراءة شعره وهم كثر في الوطن العربي.

كيف يستطيع العقاد أن يرى رأيا حسنا في مطران مثلا ومطران لا يترك مناسبة إلا ويعلي فيها من شأن شوقي ويشيد بأدبه وحسبه انه يصف شعر شوقي بأنه شعر العبقرية والتفوق. كيف يثني على حافظ وحافظ كمطران لا يترك سانحة الا ويسبغ على شوقي كريم الثناء ثم يقول قولته المشهورة فيه وهي أنه شاعر منقطع النظير؟ فاذا سوغ العقاد ذلك بأن الظروف أملت على الشاعرين أن يقولا في شوقي ما لم يعتقدا، قلنا: ليست هناك ظروف تملي على شاعر ان يفضل احدا على نفسه رياء ومجاملة. واذا حصلت مثل هذه الظروف فلا بد أن يبوح مثل هذا الشاعر بسره او أن يتذمر

أو أن يشكو حاله وهذا ما لم يحصل.

ولقد سمعت من عزيز أباظه والجواهري وأمين نخله — وكلهم شعراء كبار — من حسن التقدير لشوقي وكريم الثناء عليه ما لا غاية بعده. لقد قال عزيز أباظه انه شاعر نسيج وحده، وقال الجواهري انه شاعر لا يقتحم، وقال أمين نخله: ان شوقي لا يقارن بغيره من الشعراء. أفتكون الظروف هي التي أملت على هؤلاء الشعراء الكبار أن يقولوا ما قالوا؟ أم أن الواجب ان نعترف بأن ملء بردي شوقي شاعر لا يجارى ولو كره المكابرون؟

فاذا جارينا العقاد على وهمه وافترضنا أن ثمة من العوامل ما ألزم حافظا ومطران بتقديم شوقي، فما تلك العوامل التي ألزمت شكيب ارسلان ومحمد كرد علي ومحمد اسعاف النشاشيبي من كبار الكتاب، وبشارة الخوري وعمر أبو ريشة وشبلي الملاط وبدوي الجبل والجواهري من كبار الشعراء بهذا التقديم؟ وصحيح ان بعض من ذكرت مثل بشارة الخوري وعمر ابو ريشة وبدوي الجبل لم يشاركوا في حفلة المبايعة، ولكنهم جميعا رثوا شوقي بعد وفاته وأشادوا بفضله وأكبروا شاعريته. وهذه قصائدهم محفوظة ومعروفة. وقد جمع الأديب السوري احمد عبيد ما قيل في رثاء شوقي وحافظ في كتاب اسماه «ذكرى الشاعرين» وهو يصلح أن يكون لكثرة ما احتوى من شعر ونثر شاهدا على عظمة الشاعرين.

ولا يمكن أن يكون هذا الاهتمام الشديد بشوقي مجرد مصادفة عابرة او ضربة حظ أو موقفا سياسيا اراده القصر وسيد القصر كما يرى بعض من يتطرق لبحث هذا الموضوع. فمن المعروف ان شوقي بعد عودته من الأندلس انقطعت علاقته بالقصر وتمتع بحريته وأصبح شاعر العالم العربي والاسلامي. يتحدث طه حسين عن انقطاع صلة شوقي بالقصر فيقول: ويريد الله وتريد الأحداث أن تطلق ربة الشعر من عقالها، وان تخرج من هذا القفص الذهبي فلا تعود اليه. ثم يضيف: وعاد شوقي الى نفسه ثم رد الى شعبه فأصبح شاعر الفن وأصبح شاعر الشعب الخ... ومهما كانت العوامل والمؤثرات فان شعر شوقي يبقى هو المؤثر الأساسي في بلوغ شوقي هذه المرتبة العظيمة في العالم العربي.

لقد قرأت في الآونة الأخيرة كتابين يدوران حول شوقي وعبقريته الشعرية وهما:

«شوقي وقضايا العصر والحضارة» للدكتور حلمي مرزوق.

«العودة الى شوقي أو بعد خمسين عاما» للدكتور عرفان شهيد.

وقد درس كل من المؤلفين شاعرية شوقي دراسة متقصية مستوعبة وفندا كل ما علق به وبشاعريته من أباطيل النقاد. وكان مما قاله الأول في عبقرية شوقي: ولكني أحب أن تقرأ هذه القصائد وأنت على يقين بأن شوقي بعبقريته، إنما نهج منهج القصيد العربي مع مواكبة العصر في لفظه وأسلوبه وفكره وجميع قضاياه، محتالا الى التوفيق بين هذا وذاك احتيال العباقرة الكبار، فأنت منه في قديم غير قديم وفي جديد غير مصطنع. وهذه هي الأصالة التي نعتقد انها تجمع بين أطراف الجدة والقدم. ومما قاله الثاني: ان شوقي لم يكن رائد شعر عصر الاحياء فحسب بل كان أيضا تاج عصر العمود العربي الاسلامي كله. وحسبنا بهاتين الشهادتين برهانا على مدى خطل رأي العقاد في محاولته طمس شهرة شوقي وإنكار شاعريته.

ولعل العقاد كان أدرى الناس بأنه يراهن على قضية خاسرة. فقد أقيمت الاحتفالات والمهرجانات لتكريم شوقي أو إحياء ذكراه والعقاد ينظر بأم عينيه. ولم يكن له بد من أن يشارك بكلمة في احدى هذه المهرجانات، وهو المهرجان الذي أقيم في الذكرى الخامسة والعشرين لوفاة شوقي سنة ١٩٥٨م. وكأنه رجع الى صوابه في ذاك المهرجان فقال كلمات حاول فيها أن يضع الأمور في نصابها وأن ينصف شوقي بعد تلكؤ طويل. وكان مما قاله يومئذ ان شوقي كان علما في جيله وأنه اجتمع فيه من الصفات ما تفرق في شعراء عصره، وانه كان املكهم لعنان قلمه.. الى غير ذلك من العبارات التي تدل على ان العقاد كان يفهم منزلة شوقي لولا غاية في نفس يعقوب.

وهما يكن فلم يقف الى جانب العقاد في هذه الحملة الشعواء على شوقي أحد في العالم العربي. وكان الجميع يشايعون شوقي وبلا تحفظ او حذر. أما في مصر فلم يقف الى جانب العقاد الا زميلاه في مدرسة الديوان ابراهيم عبدالقادر المازني وعبدالرحمن شكري وبعض تلاميذه ومريديه. يضاف الى هؤلاء جميعا ميخائيل نعيمة الذي شاءت الظروف أن يقف الى جانب العقاد وأن يقف العقاد الى جانبه فيتظاهران بالوئام والانسجام كراهية لشوقي وكيدا له وإن كان الأمر على خلاف ذلك □

امــــــرأة الفقيــــد

شعر: أحمد محمد السيّد العدوي / تاروت

لم لا تعود؟ وعاد كل مجاهد   بحلى «النقيب» او انتفاخ «الرائد»

ورجعت انت توقعا لملمته   من نبض طيفك واخضرار مواعدي

وعلى التصاقك باحتمالي اقلعت   عيناي مضطجع الطريق الهامد

وامتد فصل في انتظارك وابتدا   فصل تلفَّح بالدخان الحاقد

وغداة يومٍ عاد آخر موكب   فشممت خطوك في الزحام الراعد

وجمعت شخصك بنية وملامحا   من كل وجه في اللقاء الحاشد

حتى اقتربت وأمَّ كل بيته   فتشت عنك بلا احتمال واعد

من ذا رآك وأين أنت ولا صدى   أومى اليك ولا إجابة عائد

والى انتظار البيت عدت كطائر   قلق ينوء على جناح واحد

لا تنطفي يا شمس، غابات الدجى   يأكلن وجهي يبتلعن مراقدي

وسهدت والجدران تصغى مثلما   أصغي وتسعل كالجريح الساهد

ومغازل الأمطار تعجن شارعا   لزجا حصاه من النجيع الجامد

وأنا أصيخ الى خطاك أحسها   تدنو وتبعد كالخيال الشارد

ويقول لي شيء بأنك لم تعد   فأعوذ من همس الرجيم المارد

أتعود لي؟ من لي؟ أتدري أنني   أدعوك إنك مقلتاي وساعدي

إني هنا أحكي لطيفك قصتي   فيعي ويلهث كالذبال النافد

خلَّفتني وحدي وخلَّفني أبي   وشقيقتي للمأتم المتزايد

وفقدت أمي آه يا أم افتحي   عينيك والتفتي اليَّ وشاهدي

وقبرت أهلي فالمقابر وحدها   أهلي ووالدتي الحنون ووالدي

وذهبت أنت بخافقي وبمهجتي   وبقيت وحدي للفراغ البارد



حلب الشهباء

مَدينَة الحضَارات

ترجمة: يُوسف خالد لونشيتة / هيئة التحرير





مدينة حلب.. أو كما يطلق عليها حلب الشهباء.. احدى أقدم المدن العربية التي عرفت من قديم الزمان، وشهدت حضارات الكنعانيين واليونانيين والرومان، الى أن منَّ الله عليها بالاسلام على يد القائدين المسلمين خالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح، رضي الله عنهما، كما يذكر ابن العديم*: «ثم أن خالدا ــ رضي الله عنه ــ سار الى حلب فتحصن منه أهل حلب. وجاء أبو عبيدة ــ رضي الله عنه ــ حتى نزل عليهم، فطلبوا الى المسلمين الصلح والأمان، فقبل منهم أبو عبيدة وصالحهم، وكتب لهم أمانا»[١].

وتشير الروايات التاريخية الى أن اسم حلب كان لقبا لتل قلعتها المشهورة، «وانما عرف بذلك لأن ابراهيم الخليل، صلوات الله عليه، كان اذا اشتمل من الأرض المقدسة، ينتهي الى هذا التل فيضع به أثقاله، ويبث رعاءه الى نهر الفرات والى الجبل الأسود. وكان مقامه بهذا التل يحبس به بعض الرعاء ومعهم الأغنام والمعز والبقر. وكان الضعفاء اذا سمعوا بمقدمه أتوه من كل وجه من بلاد الشمال.. ويأمر ولده وعبيده باتخاذ الطعام، فاذا فرغ له من ذلك أمر بحمله الى الطرق المختلفة بازاء التل فيتنادى الضعفاء: (ان ابراهيم حلب)، فيتبادرون اليه. فنقلت هذه اللفظة كما نقل غيرها، فصارت اسما لتل القلعة، ولم يكن في ذلك الوقت مدينة مبنية»[٢].

وحول هذه النقطة يتحدث ياقوت الحموي في معجم البلدان فيقول: «وحلب بلد مسور بحجر أبيض وفيه ستة أبواب» وفي جانب السور قلعة في أعلاها مسجد وكنيستان وفي احداهما كان المذبح الذي قرب عليه ابراهيم، عليه السلام، وفي أسفل القلعة مغارة كان يخبىء بها غنمه، وكان اذا حلبها أضاف الناس بلبنها، فكانوا يقولون حلب أم لا؟ ويسأل بعضهم بعضا عن ذلك، فسميت لذلك حلبا»[٣]. وعلى الرغم من أن ياقوت قد أورد هذه الحكاية مستندا الى رسالة كتبها ابن بطلان المتطبب الى هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي، في نحو سنة ٤٤٠هـ، إلا أنه يتحفظ في ذلك فيقول: «وهذا فيه نظر لأن ابراهيم، عليه السلام، وأهل الشام في أيامه لم يكونوا عربا وإنما العربية في ولد ابنه اسماعيل، عليه السلام، وقحطان»[٤].

وحلب اليوم مدينة عربية لها تاريخ عريق، وهي تقع على تلال جافة في الجزء الشمالي للجمهورية العربية السورية، وتمثل جانبا مهما من التراث التاريخي لمن اراد العبور الى بواباتها القديمة والبحث عن ماضيها القديم. وتعتبر مدينة حلب من أقدم المدن وهي تأتي في مصاف المدينتين المشهورتين دمشق وصنعاء من حيث القدم. وعلى الرغم من رجحان كفة مدينة دمشق، حاليا، من الناحيتين السياسية والاقتصادية، فإن حلبا ما زالت تحتفظ بجوهر وروح المدينة العربية التقليدية.. وتقع في أقصى مدن الجمهورية العربية السورية في الشمال، والواقعة في منتصف الطريق بين نهر الفرات وشاطىء البحر المتوسط. والحقيقة ان هذا الموقع قد اعطى هذه المدينة فرصة عظيمة لتكون محطة ومستراحا تجاريا طبيعيا، ومركزا دائب الحركة والنشاط، خاصة أثناء موسم الحج، حيث كان يعبرها الحجاج القادمون الى مكة المكرمة من الشمال، بدلا من سلوك الطريق الساحلي الوعر.

ولما لهذه المدينة من الصيت الذائع والشهرة الرائعة فقد قال عنها ابو الحسين بن جبير وهو يصفها: «قدرها خطير، وذكرها في كل زمان يطير، خطابها من الملوك كثير، ومحلها من النفوس أثير، فكم هاجت من كفاح، وسل عليها من بيض الصفاح... هذه حلب كم ادخلت ملوكها في خبر كان، ونسخت صرف الزمان بالمكان، أنث اسمها، فتحلت بحلية الغوان، وأتت بالعذر فيمن دان، وانجلت عروسا بعد سيف دولتها ابن حمدان. هيهات سيهرم شبابها، ويعدم خطابها، ويسرع فيها، بعد حين، خرابها»[٥].

أما الرحالة «جرترود بل»، فيقول عن حلب: «لا أعرف حتى الآن مدينة تعتبر بوابة للدخول الى آسيا، أفضل من مدينة حلب.. ذلك ان هذه المدينة تتميز برجولة مواطنيها، وبعظيم فنونها المعمارية، وبمحافظتها على روح وذوق التراث العربي، مما جعلها تحظى بتقدير خاص دون سائر المدن السورية الأخرى.»

ويذكر ابن العديم في كتابه «تاريخ حلب» أن أول من بنى مدينة حلب ملك من ملوك الموصل يقال له «بلوكوس الموصلي»، ويسميه اليونانيون «سردينبلوس»، وكان أول ملكه في سنة ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسع وثمانين لآدم صلوات الله عليه. ويستطرد ابن العديم حول هذا الموضوع فيقول: وذكر يحيى بن جرير التكريتي في كتاب ضمنه

* هو كمال الدين أبي القاسم عمر بن احمد بن هبة الله.

(١) «تاريخ حلب» لابن العديم ص/٧٢.
(٢) المصدر السابق ص/٩.
(٣) «معجم البلدان» ج/٧ ص/٢٨٣.

(٤) المصدر السابق ص/٢٨٢.
(٥) «رحلة ابن بطوطة» ص/٦٨.



عدد من المآذن تشرف على قلعة حلب الهائلة.

أوقات بناء المدن، ما يدل على ان مدينة حلب بعد بناء «بلوكوس» خربت، وجدد عمارتها غيره.

أما اليوم، فان حلب تعد مركزا تجاريا مهما حيث تقوم بتصدير مختلف البضائع للدول المجاورة، ذلك ان سوقها قد اشتهر ببيع وشراء القطن، والحبوب، والفستق، والزيتون، والأغنام، وغير ذلك من المنتجات الأخرى. وقد اكتسبت هذه المكانة عبر السنين الطويلة نتيجة للتنافس التقليدي مع مدينة دمشق وتجارها،فالحلبي يعتبر نفسه أبرع وأنشط من الدمشقي.

حَلب خـزانـة التـاريخ

التاريخ هو سجل الأمم، مهما تعددت مشاربها أو اختلفت في وسائل تدوينها، ومن هنا فان مدينة حلب قد تعددت وسائل تدوين تاريخها.. نجد ذلك في العُمْلات والأختام والنقوش على الأحجار والأبنية، وغير ذلك من الأدوات. وهذه كلها تدل على أهمية حلب التاريخية.ومما زاد هذا التاريخ ألقا وشموخا مساجدها التي تزينت بآيات من القرآن الكريم.

واذا ما تجاهلنا كثرة الضواحي لمدينة حلب، التي أنشئت في الفترة الحديثة، فاننا نرى أن المدينة ما زالت تعيش روعة الماضي متجليا في أسواقها القديمة، وفي نزلها وقلاعها وحصونها التي ما زال بعضها قائما حتى الآن. كما أن بنية وأساس المدينة التراثي ما زال متماسكا، ولم تؤثر فيه النقلة الحضارية الحديثة، بل ازداد الالتصاق بالماضي أكثر فأكثر خصوصا ما يتعلق بالجانب الاسلامي. ويبدو ذلك واضحا في الفن المعماري الاسلامي في المدينة. وعلى الرغم من أن حلب شهدت الكثير من المتغيرات عبر العصور وتعاورتها حضارات مختلفة الا أنها ما زالت محتفظة بكثير من الآثار التي تحكي تلك الحضارات. فعلى هضبة صغيرة الى الجنوب من حلب، يوجد جامع الصالحين، أو كما يسمى مقام ابراهيم، وهو المكان الذي كان يرتاده ابراهيم الخليل عليه السلام.

وبالاضافة الى ذلك يوجد حوالي ٧٥٠ مستوطنة وقرية صغيرة متناثرة حول التلال، تمثل بقايا من العهد البيزنطي، حيث تعتبر أشهر المدن المندثرة في الشمال السوري. أما الأثر الوحيد الباقي من العهد البيزنطي، فهو مدرسة الحلاوية (الحلاويين). وهذه المدرسة كانت «من بناء هيلانة أم قسطنطين»[٦].

(٦) «تاريخ حلب» لابن العديم ص/٢٩٥ (حاشية).



يبيع التجار الحلبيون كل شيء في دكاكينهم بالمدينة.

ومما يلفت نظر زائر المعالم الأثرية في حلب ان تلك المآثر الباقية تشترك في صفة الأصالة الممتدة في جذور التاريخ. فبعد حوالي قرن من فتح المسلمين لمدينة حلب، شيد بنو أمية جامع حلب الكبير، أحد المآثر الاسلامية العظيمة، والذي سطرت فيه روعة وجمال فن العمارة الاسلامية. فهذا هو ابن الشحنة*، الذي عاش في القرن الخامس عشر وأرخ لمدينة حلب، يقول: «ان جامع حلب كان يضاهي جامع دمشق في الزخرفة والرخام والفسيفساء»(٧). وتقول الروايات التاريخية ان ابن الشحنة لم ير البناء الأصلي لهذا الجامع الذي وصفه، ذلك ان الجامع قد سلب وحرق في ذلك الوقت. أما الصرح الباقي حاليا من الجامع، فيعود الى زمن نور الدين زنكي، الذي أعاد بناءه عام ٥٥٣هـ ١١٥٨م. كما أعيد بناء جزء منه بعد الغزو المغولي عام ٦٥٩هـ ١٢٦٠م. وتعتبر مئذنة الجامع أقدم جزء فيه حيث تم بناؤها حوالي عام ٤٨٣هـ ١٠٩٠م، وهي بحق تحفة معمارية بنيت بالصخور المخرمة والتي تحاكي الآثار البيزنطية المتناثرة في أرجاء المدينة.

وتعتبر فترة حكم سيف الدولة الحمداني، من الفترات المشرقة والمتألقة التي عاشتها حلب. ففي عام ٣٣٣هـ ٩٤٤م جعل سيف الدولة هذه المدينة عاصمة حكمه، «وازدهرت الآداب والعلوم في عهده فنبغ في بلاطه المتنبي وابو فراس وابو نصر الفارابي الفيلسوف»(٨). وفي هذا المقام نذكر أبياتا ثلاثة(٩) لابي فراس الحمداني، وهو يعاتب سيف الدولة لتأخره بافتدائه من أسره.. والقصة معروفة:

تنكَّر سيف الدولة لما عتبته
وعرَّض بي، تحت الكلام، وقرّعا
فقولا له: من أصدقِ الود انني
جعلتك مما رابني، الدهر، مفزعا
ولو انني أكننته في جوانحي
لأورق ما بين الضلوع وفرّعا

وقد جذب بلاط سيف الدولة العديد من العلماء والأدباء من مختلف الأمصار، حيث وجدوا الرعاية والتقدير. وكان الجميع يلتقون في قصر سيف الدولة، الذي وصف بأنه قصر ضخم زود بقنوات من نهر قويق، وذلك لإضفاء الحيوية والنشاط على القصر ومن فيه.

قلعة حلب

ان أضخم الآثار الموجودة في حلب هي القلعة، التي يرجع تاريخها الى الحقبة المتأخرة، وهي تقع في قلب المدينة

* محمد بن الشحنة أبو الفضل، قاض حنفي، نشأ في حلب، ينسب اليه كتاب «الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب».

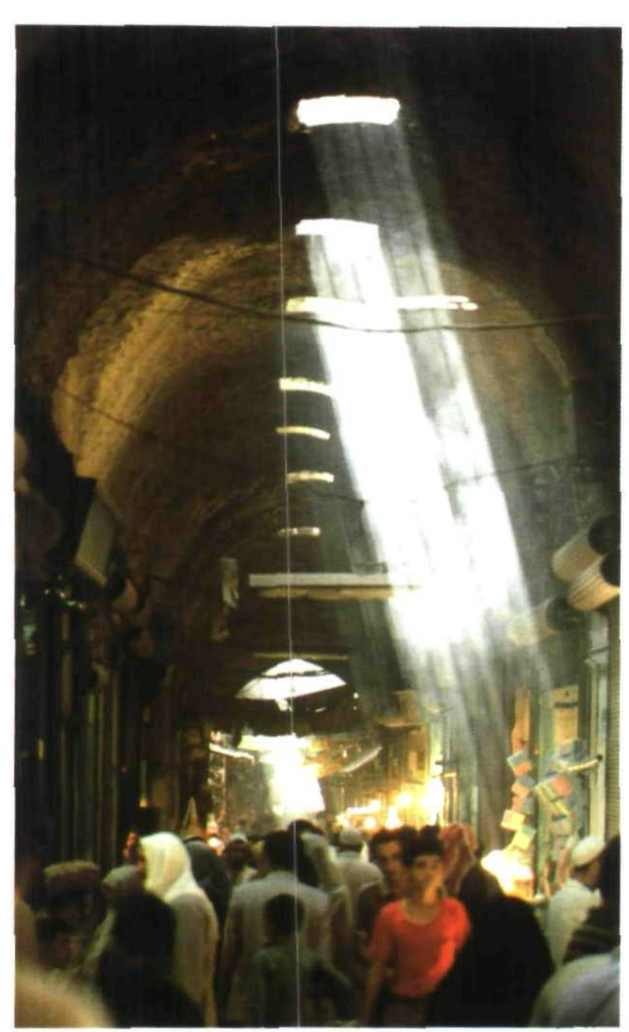
(٧) المصدر السابق ص/١٤٠.



شعاع من ضوء الشمس يتسلل الى احد
اسواق حلب الواقعة تحت الأرض

القديمة على تل شديد الانحدار. وهذه القلعة من الآثار العجيبة والمذهلة، التي أدهشت الكثير من الرحالة والمؤرخين، واعتبروها احدى قلاع القرون الوسطى المثيرة في الشرق الأوسط. ذكرها ياقوت الحموي، فقال: «أما قلعتها فبها يضرب المثل في الحسن والحصانة لأن مدينة حلب في وطأ من الأرض، وفي وسط ذلك الوطأ جبل عال مدور صحيح التدوير مهندم بتراب صح به تدويره، والقلعة مبنية في رأسه، ولها خندق عظيم وصل بحفرة الى الماء، وفي وسط هذه القلعة مصانع تصل الى الماء المعين، وفيها جامع وميدان وبساتين ودور كثيرة، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب قد اعتنى بها بهمته العالية فعمرها بعمارة عادية وحفر خندقها وبنى رصيفها بالحجارة المهندمة فجاءت عجبا للناظرين اليها، لكن المنية حالت بينه وبين تتمتها، ولها في أيامنا هذه سبعة أبواب: باب الأربعين، وباب اليهود، وكان الملك الظاهر قد جدد عمارته وسماه باب النصر، وباب الجنان، وباب انطاكية، وباب قنسرين، وباب العراق، وباب السر»[١٠].

(١٠) «معجم البلدان» ج/٧ ص/٢٨٥.



جانب من سوق مدينة حلب حيث يزدحم الناس لشراء حاجياتهم.

عدد من الماشية ترعى في سهول مدينة حلب.

وقد تغيرت بعض أسماء أبواب المدينة القديمة، والبعض الآخر ما زال يحمل الاسم ذاته. فباب انطاكية (البوابة الغربية) ما زال يمثل جانبا من التراث حيث يقود الى منطقة السوق. وبالقرب من ذلك يوجد باب قنسرين ما زال على حاله تقريبا عندما كان يعتبر نقطة انطلاق الى دمشق، وممرا لاداء فريضة الحج. كما أن بابي المقام والحديد لا يزالان يحتفظان بحيويتهما عكس بابا النصر والفرج اللذين لم يبق منهما الا آثار قليلة جدا، أما باقي الأبواب فقد اختفت تماما من الوجود.

وقد تحدث الرحالة ابن بطوطة* عن حلب وعن قلعتها حيث قال: «قلعة حلب تسمى الشهباء، وبداخلها جبلان ينبع منهما الماء، فلا تخاف الظمأ، ويطيف بها سوران، وعليها خندق عظيم ينبع منه الماء، وسورها متداني الأبراج، وقد انتظمت بها العلالي العجيبة المفتحة الطيقان، وكل برج منها مسكون، والطعام لا يتغير بهذه القلعة على طول عهدها».

وتشير الدراسات الى أن جزءا من التل الذي تقوم عليه القلعة هو من صنع الانسان، حيث يظهر من طبقاته الترابية انه مكون من بقايا وآثار لحضارات سحيقة. أما بالنسبة للقلعة فانها قد وقفت سدا منيعا أمام كثير من الغزاة، ولم تقتحم إلا مرة واحدة على يد تيمورلنك المغولي. وقد بنيت عام ٦٠٦هـ (١٢٠٩م)، لتكون حامية تتسع لنحو عشرة آلاف شخص، وتعاقبت عليها عدد من الامبراطوريات كالبيزنطية والرومانية، وربما الأمم التي سبقت ذلك. وقد كان الملك الظاهر غازي هو الراعي لهذه القلعة، فهو الذي أنشأ جسر الدخول، والبوابات، والخندق المائي، ورصف المنحدرات ببلاط صخري ناعم. وقد دفن الملك الظاهر في مسجد بالقرب من البوابة.

ازدهار حلب إبان عصور الايوبيين والمماليك والعثمانيين

يقول بعض المؤرخين ان حلب شهدت ازدهارا إبان الحكم الأيوبي، وكانت احدى أجمل وأعرق مدن الشام. والواقع ان لمسات الايوبيين المعمارية قد برزت في الشمال السوري وكان ذلك جليا في الزخرفة الخارجية للمباني، حيث ألزموا البنائين استخدام المقرنصات في أسقف مداخل القصور والمباني. وقد أوجد ذلك صعوبة في التحول المعماري من زوايا مقعرة الى مسطحات فوقها. أما داخل الأماكن الدينية فقد زينت بحجارة متعاقبة الألوان وضعت وجدّلت داخل المحاريب وفي كوات الجدران.

ومن المآثر الجليلة التي سطرها الأيوبيون في حلب، إقامة الجوامع التي كانت عبارة عن مدارس دينية. وفي منطقة المقامات، جنوب أسوار المدينة القديمة، يرى المرء ثلاث مدارس من العهد الأيوبي، هي: الفردوس، وكاميليا،

* هو ابو عبدالله محمد بن ابراهيم اللواتي، المعروف بابن بطوطة، والملقب بشمس الدين.

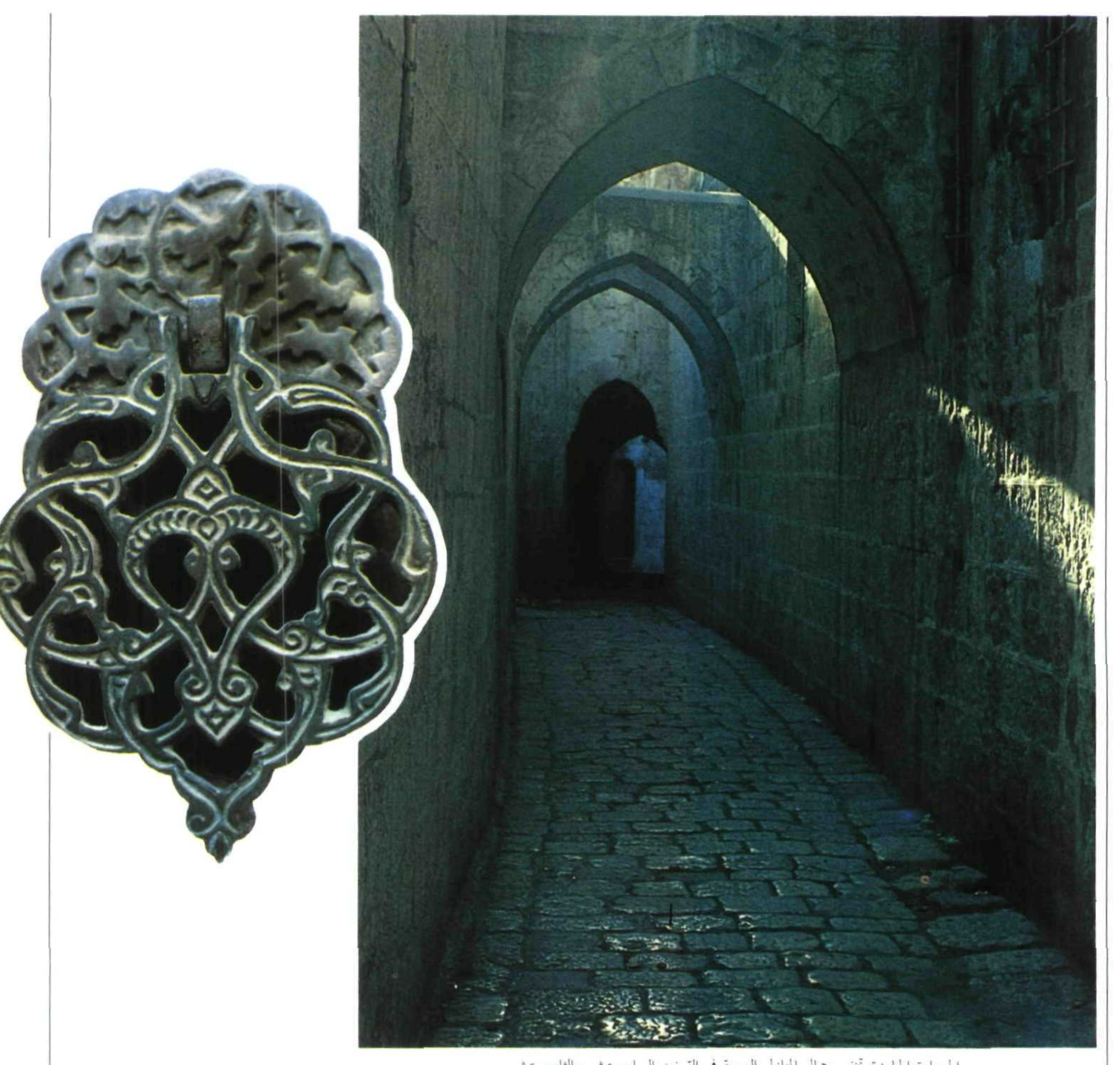


مدخل جامع الأطرش بحلب.

والزهيرية. وقد انشأت مدرسة الفردوس «ضيفة خاتون»* زوجة الملك غازي، في عام ٦٣٣هـ (١٢٣٥م). وتعتبر هذه المدرسة أفخم وأجمل المدارس الثلاث، حيث تتوسط الساحة نافورتها الأصلية، وزخرف محرابها بألوان متعددة معرقة بالرخام، وكأنه أشرطة حريرية. وتقول بعض الروايات ان تيمورلنك اراد أن يحمل المحراب معه، ولكن بعض الحرفيين والصناع اقنعوه بعدم جدوى ذلك، إذ أن تحريك المحراب من مكانه يعني تدميره.

لقد ازدهرت مدينة حلب تحت الحكم المملوكي، وأصبحت مدينة حدودية استراتيجية، وظهرت فيها بعض

* ابنة الملك العادل أبي بكر صاحب حلب. اميرة عاقلة جازمة. تصرفت في حلب، بعد وفاة أبنها «الملك العزيز» وولاية حفيدها «الناصر» (وهو طفل)، تصرف السلاطين نحو ست سنوات. مولدها ووفاتها بقلعة حلب.



الحجارة الجامدة تخفي جمال المنازل العربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر.

المباني والمرافق البارزة، كالمستشفى المملوكي «بيمارستان ارغون»، الذي ما زال قائما سليما بالقرب من السوق. وهذا البيمارستان كان قصرا فخما حوَّله حاكم حلب «أرغون الكاملي» الى مستشفى. ويعتقد ان ساحته كانت تستخدم كغرفة انتظار، اما الاواوين (جمع ايوان وهي الحجرة المتسعة لساحة القصر) فلربما كانت تستخدم كأماكن لحفظ سجلات رواتب العاملين والموظفين في القصر. وقد صممت غرف المرضى لتكون أمامها في الخارج نافورات وأحواض ينبع منها الماء.

وقد كان «خير بك» آخر حاكم مملوكي في حلب، حيث أنهى فترة السيطرة المملوكية. وذلك حينما فر ومن معه من الجنود أمام العثمانيين في عام ٩٢٢هـ (١٥١٦م) خلال المعركة التي دارت بين الطرفين على سهل «مرج دابغ» شمال حلب. وقد أدى ذلك الى تقوية الجانب العثماني ونصره على المماليك. وبعد ذلك أصبحت حلب ثالث مدينة بعيدة عن الأرض التركية تحكم من قبل العثمانيين، كما كانت ثالث مدينة في كثافة عدد السكان بعد القاهرة واسطنبول. وقد نالت حلب إعجاب الرحالة، خاصة فخامة وهيبة تصميم وظلية

المباني المتميزة بالاسطح المستوية والقباب التي تتقاطع مع المآذن وأشجار السرو وقت الغروب.

ومن المآثر التي سطرها العثمانيون في حلب، إقامة المساجد ودور العبادة. فمن أعلى باب انطاكية يستطيع المرء ان يشاهد ثلاث مآذن، قائمة في شموخ، تطل على قلعة حلب. فإحدى هذه المآذن تخص جامع خسرويه، الذي اكتمل بناؤه حوالي ٩٥١هـ (١٥٤٤م)، وهو أول مسجد وثائقي من بناء المهندس التركي «خوجه معمار سنان»[١١]، احد مهندسي السلطان سليمان.

وفي السنوات الأولى للحكم العثماني في حلب، نشأت، الى الشمال من سور المدينة القديمة، ضاحية بنيت اسوار مبانيها بحجارة أنيقة متواضعة تخفي خلفها سحر المنازل الهادىء، وتعطي صورة صادقة عن فن العمارة العربية في القرنين السابع عشر والثامن عشر. وقد تكونت هياكل المباني من دور او دورين واستخدمت فيها الحجارة الكلسية. كما انتظمت تلك الدور بشكل متجاور ومتقابل من الخلف، وذلك لتقليل تعرض الجدران للشمس. وفي الداخل، رصفت الباحات والافنية بصفائح من الحجارة، وتناثرت في وسطها أحواض الياسمين والورود وأشجار الاترج بالقرب من النوافير. اما منازل او قصور الاثرياء في ذلك الزمن، فكانت تؤثث بأثاث فاخر يظهر نمط الحياة آنذاك. وقد احتل، حاليا، متحف حلب أحد تلك القصور.

وخلال سنوات العهد العثماني، فان سوق حلب المغطى — والذي يعتبر احيانا من أجمل أسواق الشرق الأوسط قاطبة — قد أجريت عليه عمليات التوسعة. كما أن الممرات الملتوية تحت العقود الصخرية ما زالت تستقبل ضوءا خافتا من أشعة الشمس.

ومما لا شك فيه أن الأسواق الشعبية تشكل جزءا مهما من التراث، في أي مجتمع من المجتمعات، فها هي أسواق حلب القديمة ما فتئت مكتظة بالناس والدواب. فالحمير ما زالت تحمل الى هذه الأسواق الخشب، والخضراوات، والحقائب، والأقمشة القطنية والصوفية، والفواكه، والمصنوعات الخزفية والجلدية والخوصية، وغير ذلك من الأدوات والمعدات التي تمثل الماضي العريق. يقول عنها ياقوت الحموي في معجم البلدان: «وشاهدت من حلب وأعمالها ما استدللت به على ان الله تعالى خصّها بالبركة وفضّلها على جميع البلاد، فمن ذلك انه يزرع في أراضيها القطن والسمسم والبطيخ والخيار والدخن والكروم والذرة والمشمش والتين والتفاح عذبا لا يسقى الا بماء المطر ويجيء مع ذلك رخصا غضا رويا يفوق ما يسقى بالمياه والسيح في جميع البلاد»[١٢]. فلا غرو اذن ان تشتهر أسواق حلب

(١١) «الاعلام» لخير الدين الزركلي — المجلد الثالث ص/٢١٦.
(١٢) «معجم البلدان» ج/٧ ص/٢٨٤.

وتصبح قبلة المتسوقين والسواح والمسافرين.

لم تخل أي مدينة عربية قديمة من أن يكون فيها عدد من النزل، التي كانت تستخدم لمبيت التجار ودوابهم. فالطابق الأرضي المفتوح باتجاه الساحة الرئيسية يكون زرائب للحيوانات، أما الطابق العلوي فيكون فيه حجرات واستراحات للتجار الوافدين. وفي حلب، انشأ المماليك والعثمانيون العديد من النزل، التي اتبع في تصميمها التصميم السائد في جميع المناطق الاسلامية الأخرى، والمتميزة ببواباتها الضخمة التي تقفل ليلا وتفتح نهارا. ويعتبر «نزل الوزير»، في حلب، من أجمل النزل في المدينة، وقد بني ما بين اعوام ١٠٨٩ و١٠٩٣هـ (١٦٧٨ و ١٦٨٢م). أما «نزل العبية» فما زال يحمل صبغة من سكنه في السابق، حيث كان يستخدم كقنصلية ايطالية، وهو يتميز بالدرابزين التي تلف جميع الممرات المطلة على الساحة الرئيسية للنزل. وكذلك «نزل الصابون» المقام في اوائل القرن السادس عشر، والمتميز بمدخله الحجري المنقوش. أما أكبر النزل فهو «الجمرك» والمعروف كذلك باسم نزل خان العظيم، حيث أسس إبان الفترة العثمانية عام ٩٨٢هـ (١٥٧٤م)، وكان مأوى للشركات التجارية من فرنسية وهولندية وانجليزية. وقد أخذ هذا النزل اسمه من سلطات الجمارك التي استخدمته في نهاية القرن الثامن عشر.

وقد تكون مشكلة حلب اليوم، كمشكلة بعض المدن العربية التي تتعرض آثارها للضياع أو التشويه. ففي عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م) أعطيت صلاحيات لمعماري فرنسي اسمه «اندريه جوتن»، فوضع خطة رئيسية لفتح شوارع كبيرة في المدينة القديمة، اذ شطرت شبكة ممرات المشاة القديمة وشوهت. ونظرا لعدم إتمام هذا المشروع، فقد تركت الطرق والشوارع متناثرة ومتفرقة في اجزاء من المدينة القديمة، وبقيت اليوم كجرح مهمل بدون علاج.

أما الطرق الجديدة فانها تسمح للحركة الحديثة في أن تصب في الأحياء القديمة المجاورة. كما أقيمت على أطراف المدينة القديمة العمارات الشاهقة، التي سرقت من المدينة سريّتها وعزلتها ومنعت عنها جزءا من هوائها الذي تتنفسه.

وقد كان مقررا ان تنفذ في المدينة القديمة مشاريع أخرى لفتح شوارع اضافية، إلا أن ذلك توقف عام ١٤٠٤هـ، وذلك عندما أظهرت بعض الحفريات الانشائية جزءا غير مكتشف من أسوار وسلالم وأبراج من العهد الايوبي. والحقيقة ان هناك نداءات تطلقها منظمات المحافظة على التراث والطبيعة لحث المسئولين على حماية هذا التراث من الاندثار والضياع، لتظل حلب محافظة على تراثها المجيد ولتبقى دائما مدينة الحضارات□

بتصرف عن: عالم ارامكو
تصوير: احسان شيت يوليه — اغسطس ١٩٨٧

الإعـــلام ولغـــة الحضــارة

بقلم: د. عبدالعزيز شرف / القاهرة

لايعني ارتباط عنصري التعبير والتفكير، في عملية التحرير الاعلامي، ان اللغة هي جوهر الفكر وماهيته حيث تقصر كثيرا في التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات، إنما يعني أن اللغة اللسانية ليست هي الوحيدة التي يعرفها الانسان. فهناك لغات غير كلامية، تستخدم في التحرير الإعلامي. ومن هذا المنطلق يحدث التحول عن طبيعة الاعلام الأساسية من حيث ارتباطه بالتعبير والاتصال الى مفهومه وماهيته قبل التعرف الى لغة الحضارة التي تحقق انسانية الفرد في اطار مجتمع يحمل الإعلام فيه لواء العملية الاجتماعية التي تمكن افراده من أن يصبحوا كائنات اجتماعية.

والمقصود بالإعلام تزويد الناس بالمعلومات والأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة التي تمكنهم من تكوين رأي صائب فيما يعن لهم من مشكلات، وهو يعبر بذلك عن عقلياتهم واتجاهاتهم وميولهم مستخدما الاقناع عن طريق صحة المعلومات ودقة الأرقام والاحصاءات.

فهو إذن تعبير موضوعي، غير ذاتي من جانب الإعلامي صحفيا كان أو اذاعيا أو مشتغلا بالسينما او التلفاز، لا يتصل بكل أفراد المجتمع بل يختار بعض فئاته، كثرت أم قلت أعدادها، عن طريق المضمون. كما يميل هؤلاء الأفراد الى اختيار وسيلة الإعلام التي تستهويه عن نفس الطريق.

وذيوع استعمال لفظ «الإعلام» في لغة الحضارة المعاصرة ليس مستحدثا ولكنه يضرب بجذوره في مراحل تطور البشرية، تطور بتطورها وجدد في وسائله ليحقق اهدافه النابعة من احتياجات الجماعات البشرية حتى أصبح من المألوف حاليا استخدام البرق والبريد والهاتف والاذاعة والتلفاز في المناسبات الاجتماعية والسياسية وعقد الصفقات التجارية، وان نشأ حول نظام المقايضة القديم إعلام ضخم معقد.

وإذا كانت الوظيفة تخلق العضو فقد خلقت الوظائف الإعلامية «الأجناس الإعلامية»، حيث لم يحدث أي تغير في هذه الوظائف منذ المجتمعات القبلية حتى وقتنا المعاصر، ولكن برزت مستحدثات وهياكل لتكبيرها ومد نطاقها، فنمت الكتابة ليحتفظ المجتمع برصيده من المعرفة وضاعف نمو الطباعة ما يكتبه الانسان، وبأسرع وأرخص مما يستطيعه عن طريق الكتابة اليدوية، ولعبت هاتان الوسيلتان في سبيل البحث عن الحقيقة، دورا هاما حيث خلقت الكتابة أشياء متكلمة اكثرت الطباعة من اعدادها لدرجة مذهلة وخلدتها، مما جعل الفكر يستمر مع الزمان والمكان ويبقى حتى بعد الموت، وقد ينتهي الفكر المجرد، لبعده عن الجادة، الى سراب لتحوله في عالم يعود الى عهد الانسان البدائي، عالم الأفكار الذي هو عالم الألفاظ.

وأصبح الانسان، بتطور الآلات، غير متقيد بزمان او مكان مما أدى الى اكتشاف المجتمع منذ عصور القبلية الى عهد الحاضرة العصرية. وكيف كان يشارك في الإعلام ويخزنه ليصون التاريخ من الضياع وليزيد من كمه الفاعل من العشرات الى الملايين فلا يتخيل ان يستخدم مجتمع متحضر النمط الاعلامي الذي كان سائدا أيام القبلية، ولا يتخيل ان المجتمع القبلي يمكنه استخدام النمط الساري في المجتمع المتحضر اذ لكل منهما مرحلة من الاتصال تناسبه.

ومن هذا تتضح العلاقة الوثيقة بين لغتي الاعلام والحضارة كما يتضح، من خلال استقراء التاريخ الانساني، ان الاعلام فن حضاري بالضرورة، يتصل بأسبابها وينتشر بازدهارها على عكس البيئات القبلية او القروية التي تعتمد، دون وسائل الاعلام الحديثة، على اكتساب المعرفة بالاتصال الشخصي المباشر. ولهذا يغدو فن الاعلام، طبقا لمقتضيات نمو المجتمع وتنوع اختصاصاته وتعقد مشكلاته، ضرورة حتمية بعيدة عن الخبرة الفردية المباشرة، وحلا لصياغة المعرفة بصورة واقعية عملية بحيث لا يقع المجتمع في مجال الرؤية المباشرة لأحد أو يلجأ الى مفهوم يفهمه بعض الناس ولا يفهمه البعض الآخر.

وهكذا تصبح لغة الاعلام لغة حضارية تسعى للشرح والتفسير والتكامل الحضاري باعتبارها من أهم وسائل صوغ الفكر العالمي ونقل المعلومات في المجتمع البشري كله وبالتالي صياغة الحضارة، فهي كمنشور تحليل الطيف الذي ينظر من خلاله الى العالم وحضارته.

وتعكس اللغات المتباينة الفكر العالمي بصور مختلفة فالطفل يتعلم اللغة في صغره من أمه ومن ثم يبدأ في إدراك العالم الذي تصوغه له الأم في كلمات والناس لا يعيشون في نطاق عالم الأشياء المحيط بهم أو الحضارة والحياة الاجتماعية فقط بل أيضا في نطاق لغة الأم.

فالحضارة العصرية تبنى إذن وفق عالم اللغة، وتتضمن كل لغة بالاضافة الى مفرداتها وجهات نظر وأحكام مسبقة ضد وجهات نظر أخرى، كما تخضع كافة اللغات لأطوار من التغير تتضمن ما يطرأ على العالم المحيط بمتكلميها. ولهذا يبقى العالم فيزيائيا كما هو، ولكنه يصبح في الوعي البشري عالما آخر حيث ان لكل لغة ميتافيزيقا خاصة بها تؤثر من خلالها في أسلوب التفكير دون جوهره الذي يعكس الواقع الحضاري بينما تستهدف اللغة نقل المعلومات أي الرسائل عن هذا الواقع. فالواقع الحضاري والحياة يلعبان، دون اللغة، الدور الرئيسي في النهاية.

ورغم قدرة وسائل الاعلام الفائقة على الاتصال، فان بينها وبين الحضارة علاقة تجسدها اللغة التي تعكس حضارة الانسان. ويذهب كثير من الكتاب الى أن كل نقص أو قصور يعتري لغة مجتمع ما إنما يعبر عن مدى تخلفه عن ركب الحضارة. فالخبرة الانسانية المتراكمة على مر العصور تنعكس في اللغة وتجد لها، سواء في شكل الكلام العادي او الكتابة المعروفة أو الرسوم أو النقوش التي تركها الانسان المبكر على جدران المغارات والكهوف او الانجازات المعمارية او الموسيقية او الحركية كالرقص والتمثيل الصامت، تعبير يترجم الى ألفاظ وتصورات ومفاهيم تنتقل الى الآخرين.

فاللغة، في مفهومها الضيق الدقيق المعاصر لعلمي الكلام والكتابة، عنصر اساسي في حياة البشر، ويصعب بدونها قيام حياة اجتماعية متماسكة متكاملة، ويستحيل قيام حضارة ذات نظم اجتماعية وأنماط ثقافية وقيم أخلاقية ومبادىء ومثل وحياة مادية ومخترعات، باعتبار أنها اداة التفاهم والاعلام.. ويقال، في المجتمع التقليدي، بأن اللغة تستطيع أخذ الانسان الى تل أعلى مما يمكن أن يرى عنده الأفق ثم تجعله ينظر وراءه، وهي تعاون في تحطيم قيود المسافة والزمن والعزلة تنقل الناس من المجتمع التقليدي الى المجتمع المتفتح حيث تتركز العيون على المستقبل. وهذا يعني وجود علاقة قوية بين الاعلام ولغة الحضارة.

ولقد درج الكتاب في التحدث عن لغة الحضارة وكيف نجد حضارة معينة تعبر تعبيرا واضحا وصادقا في ألفاظ ومصطلحات لغة المجتمع الذي يتكلمها.

ولقد نشأت فكرة «حضارة اللغة» من ارتباط وجود الحضارة الانسانية باللغة تميز الجنس البشري على سائر الكائنات بالفكر واللغة. وتأسيسا على ذلك فاللغة في النظرية الإعلامية، تعتبر من أهم أدوات الحضارة وأساس نشأتها وتطورها واستمرارها — فالشعوب التي تتكلم لغة مختلفة تعيش في عوالم مختلفة من الواقع، حيث تؤثر هذه اللغات في مدركاتها الحسية وأنماط تفكيرها باعتبارها الموجّه الأساسي للحقيقة والواقع الاجتماعي الذي يعيشه المتكلمون بها.

ويقوم الاعلام بدور هام في تكوين الصور اللغوية الحضارية، فبتحرك المجتمع التقليدي نحو العصرية يبدأ في الاعتماد على الوسائل الجماهيرية، مما يؤدي الى تجميع حصيلة كبيرة من الآراء عن الأشخاص المرموقين والأشياء الهامة وغير المهمة، عن طريق وسائل الاعلام. فالصحف والمجلات والاذاعة يتعين عليها تقرير ما تبلغ عنه عملية اختيار من تكتب عنه او تسلط عليه الأضواء، أو ما يقتطف من أقواله أو ما تسجله من حوادث. وتتحكم هذه العملية فيما يعرفه الناس او يتحدثون عنه وهو أمر له دلالته بالنسبة للغة الحضارية، حيث يتركز انتباه الجمهور على التحضر والاهتمام بمصطلح او بلفظ جديد، أو أسلوب أو سلوك حضاري يؤدي الى التحول العصري. وبهذا تستطيع وسائل الاعلام التحكم في بعض الدلالات التي يتم بشأنها الاتصال المتبادل بين الأشخاص، باعتبار ان الاتصال الاعلامي عملية ديناميكية تحتل اللغة في مركب عناصرها الحضارية مكانا بارزا وتؤدي وظيفة ذات طابع خاص. فهي في حد ذاتها نظام اعلامي وأداة تنتقل بها سائر النظم والعادات والتقاليد المكتسبة وتتغلغل الألفاظ ومضموناتها في الصور في آن. وتتميز بتركيب خاص قابل للتجرد باعتبار أن اللغة صورة من الصور وفي إطار هذا المعنى الواسع تعتبر اللغة الوسيلة التي تتقمصها الثقافة فتبقى وعن طريقها تنتقل.

وعملية الاعلام ليست إلا عملية ترامز، تتم بين المصدر المرسل لها بوسيلة من الوسائل وبين المستقبل الذي يحل هذه الرموز ويفسرها. وكثيرا ما تصبح الرسالة الاعلامية حروفا على الورق أو أصواتا لا معنى لها عندما لا يكون المستقبل على مستوى فهمها. وقد يحدث نفس الأمر في حالة استخدام لغة مشتركة دون الالتزام باطار دلالي موحد لتحكم تصورات واتجاهات أي فرد في جماعة، في سلوكه ونظرته للأشياء. كما يتحكم فيه عالمان خارجي موضوعي وباطني يضم مجموعة تصوراته ومفاهيمه بالنسبة للعالم الخارجي، وعلى معرفة هذه العوالم الباطنية ودلالاتها الحقيقية، يتوقف نجاح الاعلامي كما يتوقف هذا النجاح على معرفة حقيقة الاطارات الدلالية للأفراد والجماعات.

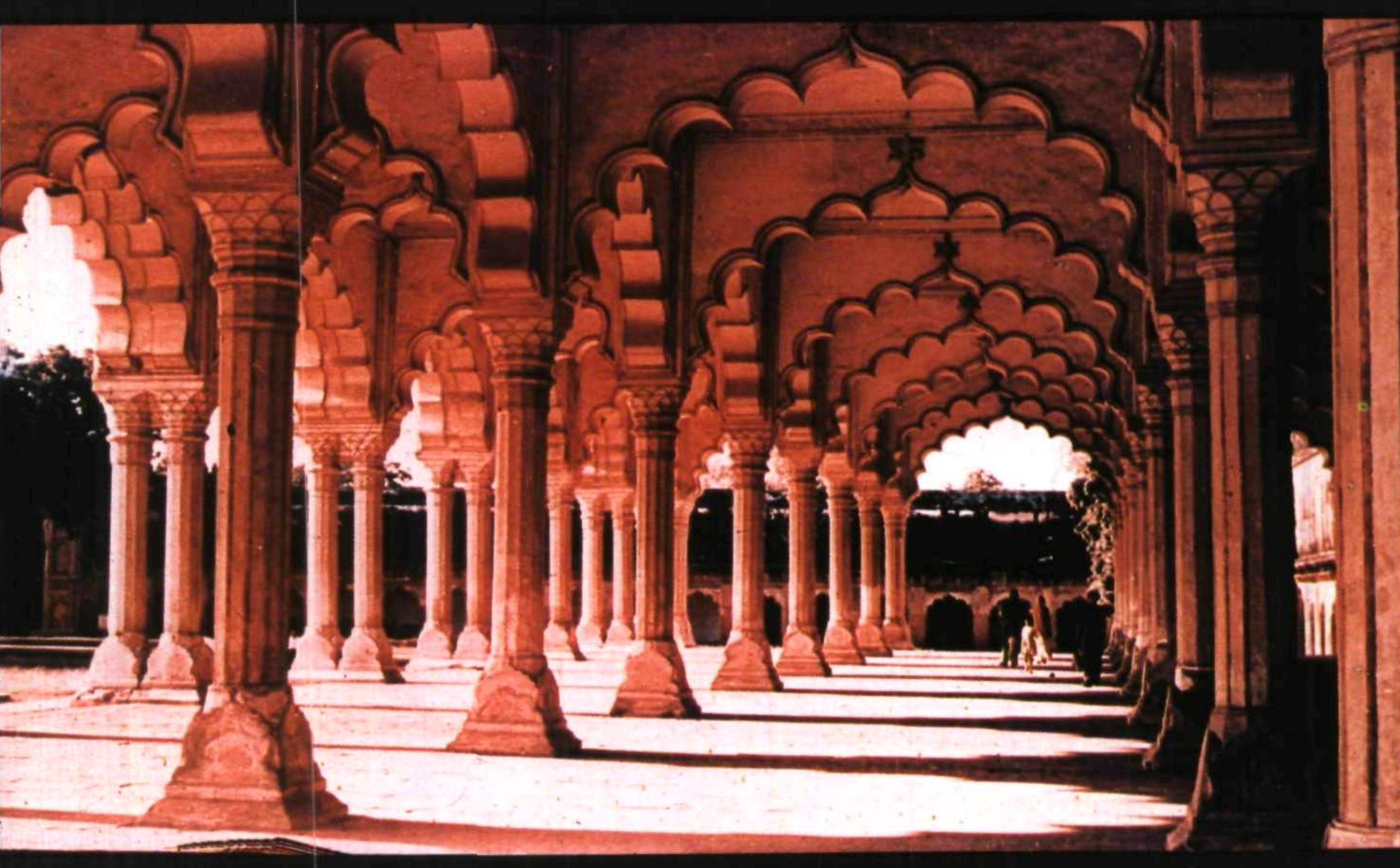
وتدل النظرة الشاملة للإعلام على تغلغله في كيان الحضارة، فعملية الاتصال تتم على مستويات مختلفة من حيث استخدام اللغة والرموز وتتواصل بمستويات ثلاثة في مجال التعبير اللغوي هي:

- مستوى التذوق الجمالي وهو المستعمل في الأدب.
- المستوى العلمي النظري وهو المستخدم في العلوم.
- المستوى الاجتماعي الوظيفي الهادف الذي يستخدمه الإعلام بمختلف أجناسه.

وجميع هذه المستويات موجودة في كل مجتمع انساني ويكمن الفرق في المجتمع بين المتكامل السليم والمنحلّ المريض منه في تقارب المستويات اللغوية في الأول وتباعدها في الثاني. ويدل تقارب هذه المستويات اللغوية على تجانس المجتمع وحيوية ثقافته ومن ثم يكون متكاملا سليم الحضارة □

مَدينَة الفَتح الإسْلاميَّة في سيكري[1]

بقلم : د. سَعدحذيفَة / جامعة الملك سعود / الرياض



سَبَق لنَا التَّطرق إلى بَعض العَادات والتَقاليد، التي كانت تَسوّد مجتمَع المغول خلال عصُورهم التي كَانوا يَعيشُون فيهَا قَبل مَجيئهم إلى العَالم الإسْلامي ، علىصَفحات هـذهِ المجلّة . وبَعد أن جاء أولئك القَوم إلى العَالم الاسْلامي، اجتاحوه بجحافلهم الجرَارة والمـدمرة انصهروا في بوتقـة هذا الديـن ، فأسلم أحفاد جنكيزخان وتحمّسُوا لهـذا الديـن ، وأضحوا من معتَنقيه الذائدين عنه وأنشأوا دولاً في آسيا ، وبَنوا حضَارة اسْلاميّة ، كَانت مِن أبرز اللبنَات في صَرح الحضَارة الاسلاميّة العَظيمَة ، الهنـد ومَا « قصر التاج / تاج محـل » الا واحـد مِن أعظم مابنـاه أولئك القـوم، بَعـد أن أضحوا مسلمين .

سَنتطرق في هَذا العَدد ، وفي الأعـداد القـادمة ، مِنَ « القافلة » إلى مَدينة واحِدَة من مُدن السّلاطين المغول المسلمين، الذين أسّسُوا لهم دَولة اسلامية في « شـبه قارة الهند والسّند ». هَذِه المدينَة هي « مَدينَة الفتح الاسلاميّة في سيكرى»، والتي أسّسها السّلطان المغـولي جَلال الدين أكبَر ، ذلِك السلطان الذي يعتـبر عَصره من أبرز عصُـور سَلاطين الـدّول الاسلامية في هاتيك الديـار . لذلِك ، فإن القَارئ عِندَمَا يرجع إلى مقـالاتنـا المنشـورة في عـام ١٤٠٣هـ وهَذهِ التي بين يَديه مدعـمة بالصّور سَيجد الفَارق الشـاسع ، والبـون الهـائِل بَين المغـول في موطنهم الأصلي ، كقوم وثنيين ، لايَملكُون من مقومَات الحضَارة شَيئاً حَيث كَانوا بدائيين ، وبَين هؤلاء المغول المسْلمين ، وكَيف جَعل منهـم الاسْلام بنَاة حضَارة .

سلاطين المغول في «الهند والسند»

ينتمي سلاطين الدولة المغولية في «شبه قارة الهند والسند» الى فرعين كبيرين لاسرتين كبيرتين، من الأسر المغولية. وهاتان الأسرتان هما المشهورتان تاريخيا، الأولى هي أسرة جنكيزخان، والثانية أسرة تمور «المشهور في التاريخ بـ تيمورلنك». فالسلاطين المسلمون المغول في «الهند والسند» ينحدرون، من ناحية الأمومة، من الفرع الأول، ومن ناحية الأبوة، يرجعون في أصلهم الى أسرة الفرع الثاني. ولقد طرقنا تاريخ أسرة الفرع الأول، فرع أسرة جنكيزخان، وخاصة شخصية جنكيز هذا، مولده، ونشأته، وامبراطوريته وامبراطورية أبنائه الأول، من بعده، في مواضيع وبحوث سابقة لنا؛(١) أما ما يتعلق بنواحي الحياة الاجتماعية، في مجموعها، والدينية الخاصة بهؤلاء القوم، فيمكن الرجوع اليه فيما نشر في صفحات هذه المجلة(٢).

أما الفرع الثاني، للأسرة التي ينتمي اليها سلاطين المغول المسلمون في «شبه قارة الهند والسند» من ناحية الأبوة، فهي تلك الأسرة التي ينتمي اليها الأمبراطور تمور «تيمورلنك». والتي نتناولها في هذه البحوث.

ولد تمور بن تركي بن بركل عام ٧٣٦هـ (١٣٣٦م). ويلتقي تمور مع فرع أسرة جنكيزخان في شخص يدعى «تمناه — Tomenah»؛ وهذا الرجل هو جد جنكيز الخامس، وجد تمور التاسع. وفي هذا الموضوع يحدثنا تمور، في مذكراته، بأنه كان قد ولد لـ «تمناه» ولدان، الأول، وهو الأكبر، يدعى كبل خان، والثاني يسمى كجلي بهادر؛ وينحدر من الأول جنكيز، وهو جده الرابع، ومن الثاني ينحدر تمور، وهو جده الثامن. ويضيف تمور الى أن الأخوين اتفقا، بموجب ميثاق عقداه بينهما، على أن تكون مملكة والدهما وحدة لا تقسم؛ وأن يكون منصب الخانية للأول، وهو جد جنكيز، بينما تكون قيادة الجيوش وتنظيم العسكر للثاني، وهو جد تمور(٣).

وبناء على مذكرات السلطان تمور فان احفاد الأخ الثاني، وهو على ما يبدو لنا الأصغر، كان لهم الحق في حكم المملكة لمدة ٣٠٠ سنة، يحكم فيها من افراد أسرته، سبعون ملكا، مدونين ذلك على لوح من الحديد كميثاق بينهما(٤).

كان «كرجار نويان»، وهو جد تمور الخامس، أول من اعتنق الاسلام من أسرة تمور؛ تزوج من احدى حفيدات الامبراطور المغولي، جنكيزخان(٥). أما كرجار هذا فهو ابن ايزدجين برلاس بن كجلي بهادر بن تمناه، حيث يلتقي فيه كل من جنكيزخان وتمورلنك. أما علاقة الرجلين ببعضهما فان تمور هو سبط جنكيزخان السابع.

قدّر لتمور أن يكوِّن له امبراطورية واسعة الأرجاء، خلال النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ ١٤ للميلاد؛ وما ان توفي في عام ٨٠٧هـ (١٤٠٥م)، حتى أضحت من أكبر الامبراطوريات، التي عرفها التاريخ. فقد كانت حدود دولة تمورلنك، عشية وفاته، من منغوليا في الشرق الى نهري الفلكا والفرات في الغرب، ومن سيبيريا في الشمال الى جبال التبت ونهر السند، وأقاليم جنوب ايران في الجنوب، من الناحية الجنوبية. إضافة الى ذلك، فقد أرغم حكام اراضي المسلمين في «شبه قارة الهند والسند» على الخضوع لسلطانه، بعد أن غزاهم في عام ٨٠١هـ/ ١٣٩٧م.

وعلى الرغم من جهود ابنه شاه/هـ «٨٠٧ـ ـ٨٥٠هـ/ ١٤٠٥ ـ ـ١٤٤٧م»، وحفيده الثاني، أبو سعيد، في محاولة إبقاء دولة تمورلنك موحدة، إلا أن جهودهما لم تثمر في نهاية المطاف؛ فقد تفككت، وأضحت أشلاء ممزقة يحكم كل جزء منها أسرة مستقلة.

وكان من بين تلك الإمارات المستقلة إمارة فرغانة، والتي كان يحكمها عمر شيخ ميرزا، وقصبتها «أي عاصمتها» مدينة خجند. وعمر شيخ هذا، هو ابن ابي سعيد بن محمد بن ميران شاه بن تمورلنك. وعلى الرغم من طموحات عمر هذا، فقد قابلتها آمال أكثر وأقوى منها من جانب الفروع الأخرى لأسرة تمورلنك. وأخيرا انتهت حياته، وهو محاصر في قلعة «اخسيكث» فيما وراء النهر، وذلك في عام ٨٩٩هـ (١٤٩٤م)، حيث خلفه ابنه بابر، مؤسس دولة المغول المسلمة في «شبه قارة الهند والسند»(٦).

لم يكد ظهير الدين محمد بابر يتجاوز الثانية عشرة من عمره، عندما توفي والده، حيث كان مقيما في مدينة «انديجان» التي تقع على بعد ٥٨ كيلا، من قلعة «اخسيكث»، حتى حاصره خصومه في «انديجان»، بعدها فتح

---

(١) كل ما يتعلق بنشأة امبراطوية المغول، على يدي مؤسسها جنكيزخان، راجع ذلك في هذا الخصوص ما كتبناه في سقوط الدولة العباسية، بيروت، ١٤٠١هـ، الفصل الأول؛ وبعده. أوضاع الدول الاسلامية، بيروت ١٤٠١هـ، وخاصة الفصل الرابع؛ حياة جنكيزخان، مترجم على يدينا من الانجليزية، وقد ترجم اصلا عن اللغة الروسية؛ نشر عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) وما ورد في تلك الكتب الثلاثة من مصادر، ومراجع فيما يخص تاريخ المغول.

(٢) اعداد القافلة ١، ٢، ٤، ٧، ٨، ٩، ١٠، ١١، لعام ١٤٠٣هـ المجلد الحادي والثلاثون. ثم في بعض المجلات الأخرى العلمية، المحكمة وغير المحكمة، وخاصة في «مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية»، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة، المجلد الخامس، ١٤٠٥هـ؛ ومجلة «دارة الملك عبدالعزيز» العدد الأول السنة التاسعة ١٤٠٣هـ. «مجلة كلية الآداب» جامعة الملك سعود، المجلد الحادي عشر، العدد الأول؛ «مجلة الحرس الوطني» العدد الثاني عشر، السنة الثالثة، ربيع الثاني ١٤٠٣هـ (١٩٨٣م).

(٣) الامبراطور المغولي تمور، «مذكرات تمور» محقق ومترجم الى اللغة الانجليزية، لاهور، ١٩٧٥م، ص/٢٧ــ٢٨.

(٤) نفس المصدر السابق، ص/٢٥، ٢٧ــ٢٨.

(٥) كان لجنكيزخان عدد من الأبناء والبنات، ولعل أهمهم الأبناء الأربعة الذين اشتهروا في التاريخ، وهم جوجي، وجغتاي ــ وهو جد تمور وبابر، وأكتاي، وتولي (على التوالي، الأكبر ثم الذي يليه).

(٦) لمعلومات عن مدينة «اخسيكث» انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، طبعة دار صادر ١٤٠٤هـ، جـ/١ ص/١٢١ــ١٢٢. أما السلطان بابر فان لقبه ظهير الدين محمد، وهو حفيد تمور الرابع وسبط جنكيزخان الثاني عشر من ابنة ابنه الثاني جغتاي خان.

لهم باب المفاوضة السلمية، وعلى اثرها فقد معظم اراضي والده، في اقليم فرغانه. ومع ذلك ظل يصارع اعداءه طوال السنوات الأربع التالية، استعاد في نهايتها معظم ممتلكاته، ودخل مدينة سمرقند، عاصمة جده تمورلنك، سنة ٩٠٣هـ (١٤٩٧م). ومع ذلك، فقد تسبب غزوه لتلك المدينة، في فقدان مملكته برمتها، فيما وراء النهر، بعد أن هجرته قواته التي رفض السماح لرجالها بنهب مدينة سمرقند بعد فتحها. ويغادرها، وقد ألمّ به مرض عضال، لم يتمكن على أثره من العودة الى مملكته التي فقدها في غمضة عين، وأضحى ملكا بدون ملك.

ورغم محاولاته اليائسة، وصراعه المرير، مع اعدائه الاوزبكيين، لاستعادة شيء من مملكته، إلا أن جهوده فشلت، فغادر اراضي ما وراء النهر، عله يجد حظا أوفر فيما دون نهر جيحون. وقد عاش بابر عيشة الطريد المشرد، في اراضي شرق خراسان، وأضحى ملكا منفيا، في الصحراء، يفترش الثرى، ويلتحف السماء، طوال الخمس السنوات التالية. بعدها نجده يتجه الى الجنوب، فيدخل اراضي افغانستان، وهي التي عرفت بـ «زابلستان» ومعه مجموعة من الرجال، سار صوب عاصمتها «كابل» حيث دخلها عام ٩١٠هـ (١٥٠٤م)، فاحتل المدينة، وضم معها مدينة «غزنه» حاضرة الدولة الغزنوية؛ بعدها يمسي ملكا على مملكة تبلغ أضعاف ما ورّثه والده في فرغانه، فيما وراء النهر.

نظرا لظروف سياسية وقلاقل سادت اقليم وادي نهر السند الشمالي، كانت الفرصة مواتية لبابر لغزوه، فذهب ودخل، ولأول مرة، أراضي «شبه قارة الهند والسند» في العام نفسه (٩١٠هـ) فسار بمحاذاة «نهر السند». وفي عام ٩١٣هـ (١٥٠٧م) فاستولى على مدينة قندهار، وادخل تحت سلطانه جميع الأراضي التابعة لها.

دخل بابر، بعد ذلك وخلال السنوات السبع التالية، في صراع مرير مع اعدائه، الاوزبكيين، حيث قدموا من اراضي ما وراء النهر، وحاصروه في مدينة قندهار، وانتزعوها منه. وكان أخوه نصير الدين ميرزا نائبا عنه فيها. إلا أن بابر سرعان ما استعاد قندهار بعد صراع دامٍ وطرد اعداءه منها، بل وتتبعهم الى أراضيهم، فأخذ بخارى، وسمرقند، وضم بعد ذلك كافة اقليم فرغانة، مملكة أبيه وجده؛ إلا أن الاوزبكيين استماتوا في صراعهم مع بابر، فاضطر الى مغادرة اراضيهم الى إقليم افغانستان حيث شرع في بناء دولته متخذا من كابل منطلقا له. وبعد تسع سنوات من الاستقرار في كابل استطاع اعادة قندهار في عام ٩٢٩هـ (١٥٢٢م) الى ملكه.

شرع بابر في التركيز على توسيع سلطانه الى الجنوب، ولم يفكر في العودة الى أراضي الآباء والأجداد؛ لذلك نجده يحظى بنجاح منقطع النظير، ربما لم يحلم به هو. أخذت قواته تزداد، وعوده يصلب، فاتجه بجيشه الى الجنوب، في النصف الثاني من عام ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)، موليا بوجهه شطر مدينة «دهلي» الاسلامية. وهناك، وعلى ارض «بانيبات» التي لا تبعد اكثر من ٨٥ كيلا، عنها، خاض بابر معركة حاسمة تعد من أهم المعارك في حياته، ضد ابراهيم لودي، ملك «دهلي»، وآخر ملوك اللوديين. خرج الملك المغولي من تلك المعركة، منتصرا، حيث سحق جيش خصمه وقتل ابراهيم، واحتل عاصمة ملكه «دهلي» بعد خمسة أيام من معركة «بانيبات»؛ سار بعدها الى مدينة «أكرا» الواقعة الى الشرق من الأولى، حيث دخلها بعد اثني عشر يوما من تلك الموقعة (٧).

في أوائل عام ٩٣٣هـ (١٥٢٦م)، ضم السلطان المغولي بابر أجزاء كبيرة من أراضي «وادي السند» العلوية، حتى مدينة «الملتان». وما ان توفي بابر، عام ٩٣٧هـ (١٥٣٠م) حتى خلف مملكة تمتد من جبال الهملايا شرقا الى مدينة «نربدا» غربا، ومن نهر جيحون شمالا الى «كرمناسا» جنوبا.

عاش السلطان المغولي المسلم «بابر»، واسمه ظهير الدين محمد، غازيا في أرض آبائه وأجداده، فيما وراء النهر، فقد جاء الى «شبه قارة الهند والسند» غازيا، ومات بها غازيا. وكان شخصية فريدة، ذات طموحات، فاقت كل تصور؛ وأصبح من كبار مؤسسي الدول العظمى في التاريخ البشري. غزا اراضي «شبه قارة الهند والسند»، فوضع قواعد دولة، وأسس ملكا له ولأبنائه، ولأحفاده من بعده، قدّر الله لها أن تعيش قرونا بعده.

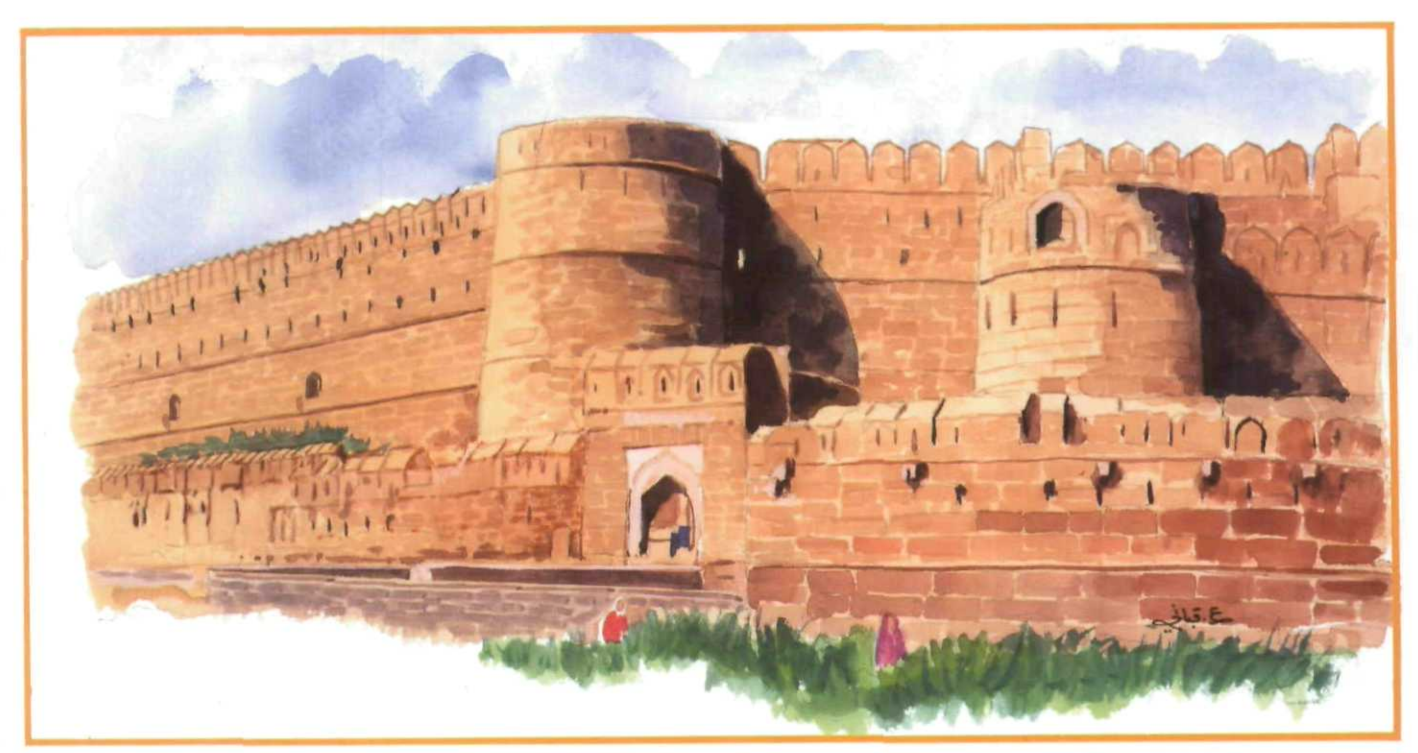
السلطان نصير الدين هومايون

٩٣٧-٩٦٣هـ / ١٥٣٠-١٥٥٦م

خلف هومايون والده بابر على عرش دولة المغول المسلمة في «شبه قارة الهند والسند» عشية وفاة والده. على الرغم أن هذا الحاكم الجديد كان على درجة كبيرة من دماثة في الخلق، كثير الحدب على الناس، كريم الخصال، ذا ثقافة عالية، وفياً لكل هدف سام، إلا أنه لم يكن ذا شخصية تحمل في ذاتها مؤهلات قيادية، وادارية، تجعله كفأ لوراثة والده، وسد تلك الثغرة الكبيرة التي تركها بابر من بعد وفاته. فلم يستطع، في أول الأمر على الأقل، أن يضيف أراضي جديدة الى ملكه، بل لم يحافظ على ما خلف له ابوه، وفشل في تأكيد سيادة دولة أبيه، حتى يسلمها لمن يأتي من بعده. ولعل السبب في ذلك يعود بشكل اساسي الى شدة التردد في اتخاذ القرارات، وكثرة القلق الدائم وعدم الاستقرار على رأي معين يعزم القيام به، وتنفيذه. كما كان شخصية شديدة التهرب من واقعه، الذي كان يعيشه، وخاصة عندما فقد مملكته، كما سنرى.

---

(٧) جرت معركة بانيبات يوم الجمعة الثامن من شهر رجب عام ٩٣٢ هـ الموافق ٢٠ نيسان/ابريل سنة ١٥٢٦م، ودخلت «دهلي» تحت سلطانه بعد ذلك بخمسة أيام. و «اكرا» بعد المعركة بحوالي ١٢ يوما. انظر ابو الفضل «أكبر نامه» جـ/١ ص/٢٤٩ وبعدها.



جانب من سور مدينة اكرا

لم يستطع السلطان هومايون ان يضيف شبرا واحدا الى مملكة أبيه التي تركها له، بل على عكس ذلك، نجده يضيعها، ويرحل عنها الى الشمال من «بلاد الهند والسند». وعلى وجه العموم، كاد المغول ان يفقدوا، على يدي هومايون، جميع مكاسب مؤسس اسرتهم في هاتيك البلاد، بمجرد هزيمة واحدة. ففي شهر صفر من سنة ٩٤٦هـ (ابريل سنة ١٥٣٩م)هزم هومايون في معركة «جنسه» على يدي احد الثوار يدعى «شيرخان سوري». لذلك نجد هومايون، بعد سنة واحدة من تلك الموقعة يمسي ملكا بدون ملك، يعيش شريدا طريدا، يهيم في اعالي أقليم وادي السند؛ ثم يفر هاربا الى اقليم فارس، بعد معركة أخرى، هزم فيها أمام عدوه «شيرشاه سوري» في مكان يعرف بـ «كنوج».

بعد مضي ما يقرب من أربع عشرة سنة، وفي سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥م)، نجد الملك المشرد، يجمع قواه، وشتات شمله، وأضحى على رأس قوة كبيرة يقودها، عائدا باتجاه عاصمة أبيه في بلاد «الهند والسند»، فدخل «دهلي»، وبعدها المدينة الثانية «اكرا»، حيث شرع في استعادة ملكه الذي خسره على ايدي «شاه سوري». وقد ساعدت ظروف البلاد، وأوضاع حكومة خلفاء «شيرشاه سوري» الضعيفة، الذي توفي وخلفه ابن له ضعيف الشخصية، وتوفي الإبن، فجاء بعده ابن له لا يتجاوز عمره خمس سنوات؛ والذي قتل بعد ثلاثة أيام فقط، من وفاة والده، فقام كل وال باعلان استقلاله بما تحت يده. وبذلك انتهت دولة «شاه سوري». فكانت فرصة هومايون لاسترداد ملكه، بعد وفاة خصمه، وسالب عرشه ومملكته، «شيرشاه سوري».

كانت هذه الأوضاع، التي آلت اليها أسرة «شيرشاه سوري» فرصة ذهبية لـ «هومايون» لاستعادة ما خلفه والده. ورغم ذلك، نجده يقل عن والده من ناحية الكفاءة الادارية. فدولة كهذه واسعة الأرجاء تحتاج الى قوة متماسكة لتبقى قوية متينة الأركان. وبعد سنة، من دخول هومايون مدينة «أكرا» توفي عن عمر يناهز التاسعة والأربعين وذلك عام ٩٦٣هـ (١٥٥٦م)، فقد وقع من على درجات كانت تقود الى السطح من قصره، حيث كانت مكتبته، في مدينة «دهلي».

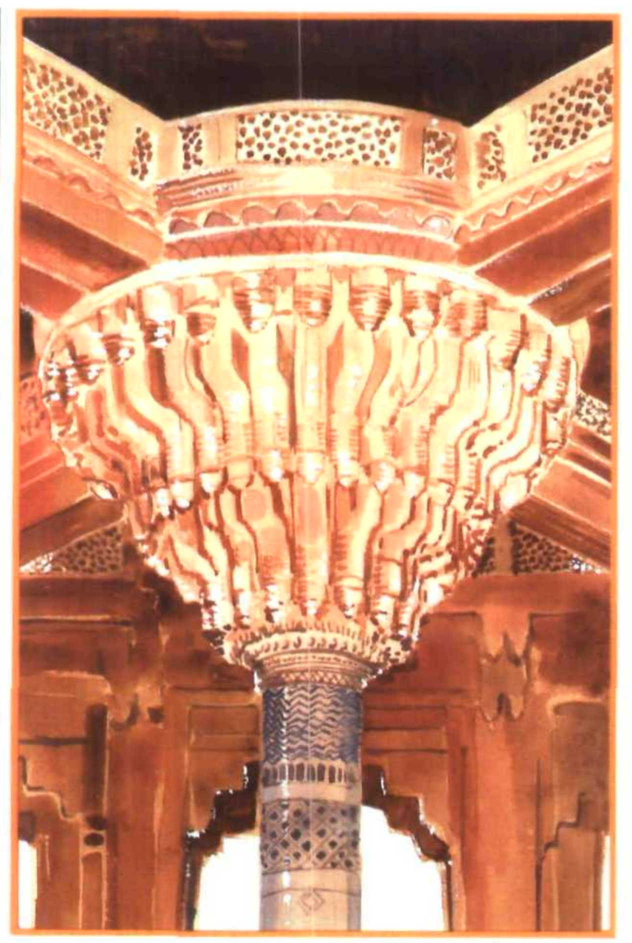
السلطان جلال الدين أكبر
٩٦٣هـ (١٥٥٦م):

ولد أكبر في عام ٩٤٩هـ (١٥٤٢م)، أثناء هروب والده، هومايون، وتشرده في أراضي «وادي نهر السند». وكانت طفولة أكبر، طفولة عذاب؛ فقد عاش خلالها تحت رعب الحرب، وهلع الموت، كان خوفه أن يأتيه القضاء المحتوم في أية لحظة من سنوات تلك الطفولة المخيفة، حيث كانت الأخطار من كل جانب. قضى أكبر معظم سنوات طفولته، وهو أسير عمه «كمران»[٨]. فقد قام هذا الأمير بثورة ضد

(٨) خلف السلطان بابر أربعة أبناء، هم: هومايون، وكمران، وهندال، وعسكري. تولى السلطنة بعده، هومايون، ومات عام ٩٦٣هـ (١٥٥٦م) في «دهلي». اما كمران فقد ناهض أخاه ونازعه السلطنة، وكان الطفل اكبر اسيره؛ وبعد انتصار اخيه عليه نفاه الى مكة المكرمة حيث توفى فيها سنة ٩٦٤هـ (١٥٥٧م). أما الأمير هندال، فقد مات مقتولا في عام ٩٥٨هـ (١٥٥١م)؛ وأخيرا الأمير عسكري، الذي مات بمكة المكرمة، طرده أخوه السلطان، وذلك عام ٩٦٥هـ (١٥٥٨م). أي أنه مات بعد سنتين من وفاة أخيه السلطان الذي نفاه.



رسم للسلطان المغولي جلال الدين اكبر



نموذج للعمارة الاسلامية في العصر المغولي

أخيه هومايون، في كابل، ومرة ثانية في قندهار، وفي كل مرة يقوم هومايون بحصار أخيه، فيعمد الأخ بتهديده بقتل طفله أكبر، والذي كان أسيرا عنده، ان لم يقلع عن حصاره، حتى عادت الأمور في أراضي الشمال الى والده في عام ٩٦٠هـ (١٥٥٣م).

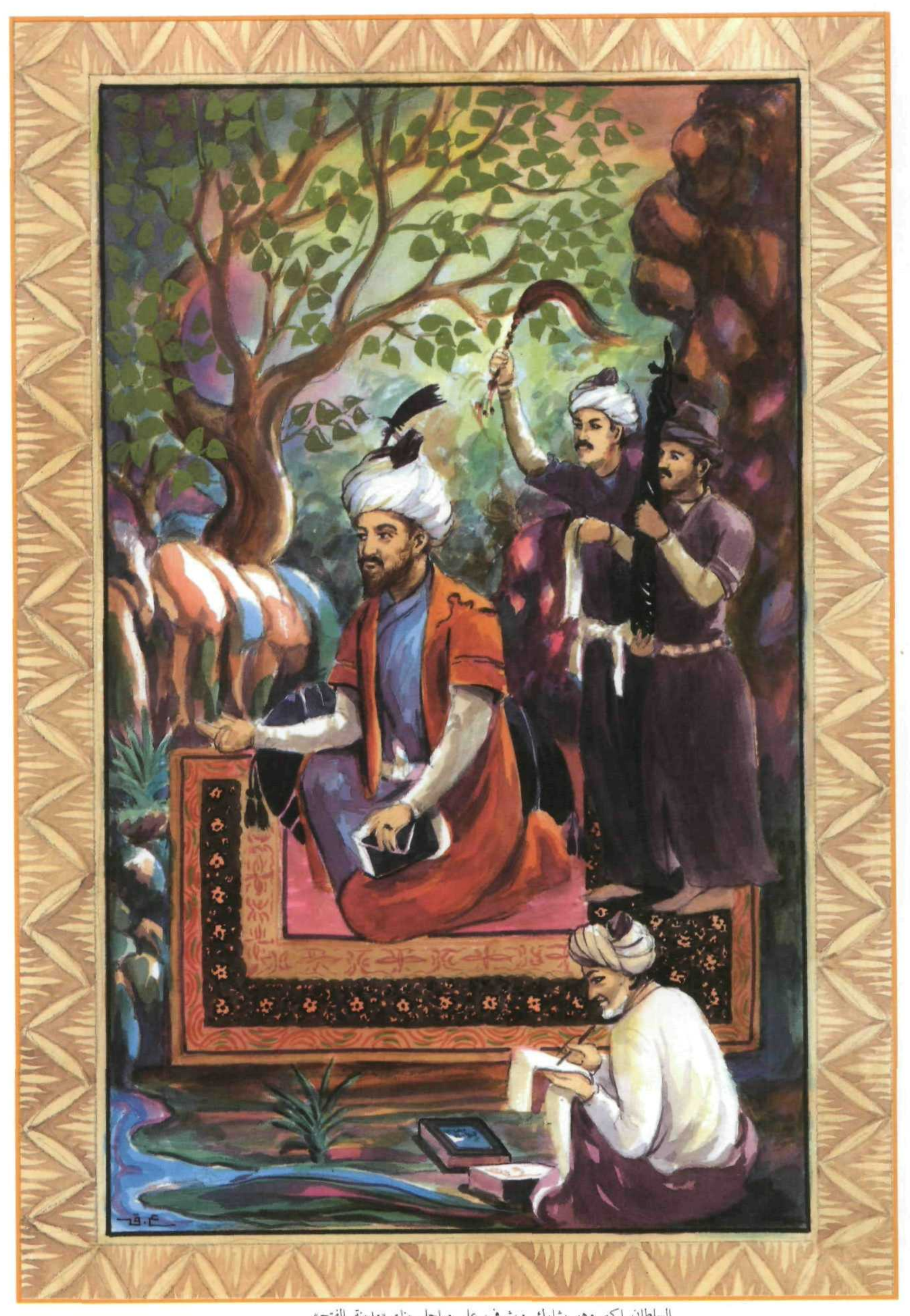
جاء السلطان أكبر، الى دفة الحكم، وعمره لا يتجاوز الرابعة عشرة، وتولى الوصاية عليه ورعاية شؤون دولته احد رجال أبيه المخلصين، ويدعى «بيرام خان». ظل هذا الرجل يدير أمور اكبر، حتى بلغ الأخير الثامنة عشرة من عمره، أخذ بعدها أمور مملكته في يديه، وأضحى يباشر ادارة البلاد بنفسه.

واذا ما غضضنا الطرف عن سياسة السلطان اكبر الدينية، وتجاوزنا عنها، فهو رهين أعماله امام رب لن يظلم، فقد كان أكبر عبقريا في عسكريته، داهية في سياسته، منظما في ادارته، عملاقا في تدبير امور دولته، ماهرا في معاملاته، خصبا في أفكاره، مبتكرا في تصوراته وتخطيطاته الهندسية. لقد كان هذا السلطان المغولي مشيدا، ومعماريا ألمعيا، يكاد يفوق كل وصف، وفوق ذلك يجل ويكبر كل عمل متقن.

كان السلطان أكبر اداريا حكيما، ومنظما ألمعياً، وعسكريا انضباطيا. جاء الى الحكم فأعاد تأسيس دولته بعد جده بابر، وأشاد بنيانها، ووسع ممتلكاتها، حتى شملت بظلها، أو كادت جميع «بلاد الهند والسند» في عهد أبنائه وأحفاده.

اذا كانت معركة «بانيبات» الأولى في عام ٩٣٢هـ (١٥٢٦م)، قد منحت جده بابر، كافة اراضي مملكة اللوديين، فقد أعادت معركة «بانيبات» الثانية، والتي جرت في المكان عينه، بعد احدى وثلاثين سنة من الأولى، الى حفيده جلال الدين أكبر كل ما ملكه جده بابر. فقد احرز أكبر نصرا حاسما على مغتصب مملكة السلطان «شيرشاه سوري» وقتل على يد «بيرام خان» بعد أن أسر في المعركة المذكورة.

كانت مدينة «أكرا» هي المقر الإداري لسلطنة المغول، التي جاء اكبر على رأسها، وظلت كذلك رغم بناء مدينة جديدة، على يد هذا السلطان المغولي المسلم، في «سيكرى». فقد بقيت «اكرا» معقل «اكبر» الحصين، ولم تفقد مكانتها السابقة ببناء مدينة الفتح الاسلامية□



السلطان اكبر وهو يشارك ويشرف على مراحل بناء «مدينة الفتح»

أعلام عرب محدثون

الشيخ ابراهيم اليازجي

(١٨٤٧-١٩٠٦)

بقلم: د. نقولا زيادة / لبنان

في سنة ١٨٦٨ علقت على جدران البيوت في بيروت قصيدة غفلا من التوقيع قرأ الناس فيها الأبيات التالية:

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيم التعلل بالآمال تخدعكم
وأنتم بين راحات القنا سلب
الله أكبر ما هذا المنام فقد
شكاكم المهد واشتاقتكم الترب
كم تظلمون ولستم تشتكون، وكم
تستغضبون، فلا يبدو لكم غضب
الفتم الهون حتى صار عندكم
طبعا، وبعض طباع المرء مكتسب
وفارقتكم، لطول الذل، نخوتكم
فليس يؤلمكم خسف ولا عطب
لله صبركم، لو ان صبركم
في ملتقى الخيل حين الخيل تضطرب
فشمروا وانهضوا للأمر وابتدروا
من دهركم فرصة ضنت بها الحقب
خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا،
على الوئام لدفع الظلم تعتصب
بالله يا قومنا هبوا لشأنكم
فكم تناديكم الاشعار والخطب

وأثرت القصيدة في القراء، وأثارت منهم الهمم، لأنها عبرت عن مشاعرهم. وقامت قيامة الوالي في بيروت، ونشر جلاوزته لمعرفة صاحبها، ولكنه لم يوفق. أما تاريخ الأدب فيقول أن صاحب القصيدة هو الشيخ ابراهيم اليازجي، المولود في بيروت سنة ١٨٤٧، وهو ابن اليازجي الكبير، الشيخ ناصيف. وعلى هذا الوالد تعلم الابن امثولاته الأولى.

يقول الراحل مارون عبود عن نشأة الشيخ ابراهيم العلمية:

«هو احد جنود تلك الكتيبة المناضلة تحت علم الضاد في عصارى القرن التاسع عشر. خاض المعمعة مع قائدها المغوار فارس ميدان الفصحى المستولي على الامد، فأكسبه ذلك الشوط، وان لم يجل فيه، شهرة أحلته المحل الأرفع بعدما مضى اولئك الجهابذة. وعاش هو بعدهم ليتوغل في المسلك الوعر الذي شقوه ومهدوه ».

فالشدياق والأسير والأحدب واليازجي الأب كانوا أبطال تلك الساحة، يصولون ويجولون حتى طلع ابراهيم فكان صنو أبيه في الانشاء، ولكنه فاقه علما وتدقيقا بأسرار اللغة. نزل الى الميدان، بعد موت والده، وهو ثنيان رخص

فدافع عنه في تلك الهبوة التي أثارها كبش الكتيبة العاسي والجواد القارح احمد فارس الشدياق.

فاليازجي كاتب عالم صنع نفسه يوم لم تكن طرق التعليم معبدة. جاور أباه وأخذ من علمه ما حضر، ثم تعمق فاكتسب برغبته وجده لغات اجنبية وآداباً وعلوما حتى احصي بين علماء الهيئة — الفلك — وتطاول الى مناقشة العلامة فلامريون الفرنسي إمام ذلك العالم، فسمع صوته واهدى اليه ملك أسوج ونروج نوط العلوم والفنون».

الى هنا أوصل الجد والكد الشيخ ابراهيم اليازجي، الذي لم يعل رأسه سقف مدرسة. كان معولا على نفسه معتمدا عليها فخلقت منه تلك الثقة المقرونة بذكاء حاد رجلا وقف حارسا أمينا على باب لغة العرب زهاء ربع قرن.

عمل الشيخ ابراهيم معلما في الحكمة والبطريركية وحرر في «الجنان» و«الطبيب» في بيروت، وأنشأ «الضياء» لما رحل الى القاهرة سنة ١٨٩٨، مقتفيا أثر صروف ونمر وزيدان. وانصرف الى هذه المجلة حتى وفاته سنة ١٩٠٦ فماتت بموته. وقد شرح ديوان المتنبي، الذي نسبه الى أبيه، لأن الوالد كان قد بدأ العمل فيه. وله ايضا «نجعة الرائد في المترادف والمتوارد».

والسؤال الذي يخطر على البال هو: ما هو الأثر الذي تركه الشيخ ابراهيم اليازجي في النهضة الحديثة؟ يجيبنا عن ذلك بستاني آخر، هو فؤاد أفرام، بقوله:

«وأما اليازجي اللغوي فقد كان واحدا من اولئك اللبنانيين الذين ادركوا، متأثرين بجرمانوس فرحات اللغوي، ان الحرف يميت، وأما الروح فيحيي؛ وان اللغة واسطة للتعبير لا غاية للتبحر؛ وانه مهما سهلت الواسطة ومرنت الاداة، تجلى الفكر وبرز في اروع صفاته. ولعل اليازجي كان أبعدهم مدى في قدر هذه الحقيقة، على تبحر في اللغة وتعمق في اصول اشتقاقها، فسهل عليه ان يمهر النهضة العصرية بأداة صحيحة مرنة، لها من التقليد روعة القدم، ومن الابتكار قشابة الحدوث؛ اداة كانت تكون كافية، لو اخذ الغُيُر على هذه اللغة بالطريق التي سنها اليازجي فقربوا التعبير من مجالي الحياة».

واليازجي نفسه أوضح موقفه من اللغة العربية بأن ما يبدو فيها ضعفا ليس واردا على اللغة من هرم ادركها، فقعد بها عن مجاراة الأحوال العصرية، وأناخ بها في ساقة الألسنة الحالية. فان معنى الهرم في اللغة ان يحدث عند المتكلمين بها معان قد خلت ألفاظها عنها، ثم تضيق أوضاعها عن احداث ألفاظ تؤدي بها تلك المعاني، فيطرأ على اللغة النقص، حينا بعد حين، الى أن تعجز عن اداء اغراض أهلها، ولا تبقى صالحة للاستعمال. وحينئذ فلا يبقى إلا أن يلقى حبلها على غاربها، أو يستعان بغيرها على سد ما عرض فيها من الخلل، بما يغير من ديباجتها، وينكر أسلوب وضعها، حتى تتبدل هيئاتها على الزمن، وتصير على الجملة، لغة أخرى.

ويوضح هذا بقوله:

«وليس بمنكر ان ما وصفناه من هذا الحال يشبه في بادي الرأي ما نشاهده من حال لغتنا اليوم، وما لم نزل ننعاه عليها، منذ حين، من تقصيرها عن الوفاء بمطالبنا العصرية؛ إلا أن ذلك اذا استقريت أوجهه وأسبابه، وسبرت غور اللغة في نفسها، وقست مبلغ استعدادها، علمت أنه ليس منها في شيء، وأيقنت أنها لا تزال في ريعان شبابها وطور ترعرعها، وان فيها بقية صالحة لأن تجاري اوسع اللغات وأكثرها مادة. ولكن ما ادركها من ذلك وارد من قبل الأمة، وتخلفها في حلبة الحضارة والمدنية. اذ اللغة بأهلها: تشب بشبابهم وتهرم بهرمهم، وإنما هي عبارة عما يتداولونه بينهم، لا تعدو ألسنتهم ما في خواطرهم، ولا تمثل ألفاظهم إلا صور ما في أذهانهم».

وللشيخ ابراهيم اليازجي فضل على حروف الطباعة العربية. فهو الذي وضع أمهات الحروف الجديدة، التي صنعها معمل سركيس في بيروت، والتي انتشرت في المطابع العربية في مصر ولبنان وسورية وفلسطين. وقد قال الدكتور «شبلي شميل» بأن هذه الخدمة هي أجّل ما قام به الشيخ ابراهيم اليازجي.

وكان الرجل على جانب عال من الخلق الكريم. ونحسب أن قول شاعر القطرين خليل مطران فيه موفيه حقه. فقد قال في ذلك:

«راعني الشيخ بكمال سيرته ورجاحة عقله وسعة معارفه واحاطة خبرته بالناس، فلزمته لزوم المتأدب والمريد زمنا طويلا، ولا أبالغ بقولي انه اذا كان الانسان في ظاهره وباطنه لا يخلو من العيوب، فقد كان الشيخ من أقل الناس عيوبا. بل أقول ولا أبالي عاقبة التصريح على سمعته، ان كل ما تمنيت على الله ان يزيده في مناقبه ومحامده خلة العفو. فقد كان منتقما لشرفه وشرف بيته، ينتقم مدافعا لا مبادئا، واذا ضرب ضرب بتؤدة وتبصر، ناظرا الى المقاتل، وقلما تصدى لخصم إلا تركه صريعا جريحا جرحا مشفيا. على أنه لم ينبر لأحد إلا عن عدل وحق. وان للشيخ مذهبا عاما في الشعر والنثر وسائر ما يتولاه وهو مذهب الاتقان، لا يخلق جديدا ولكنه يتقن ما يصنعه الى حد أنك تعزوه اليه وتعرفه بطباعه. فلم ينظم مرتجلا ولم يكتب الا محتفلا، وكان التحقيق فيه خلة لم تبلغ في باحث أو عالم مبلغها فيه».

ولليازجي نظرات في شؤون العلم والحياة حرية بالاهتمام. فهو يرى الرزء كل الرزء هو فيما ابتليت به هذه الأمة من الخمول والقعود في الحياة الفكرية، وما توالى عليها من التدابر والشقاق، وتعاورها من تسلط يد الأجنبي دهرا بعد دهر، حتى اضمحل العلم فيها على التوالي، ولم يبق منذ مئات من السنين ما يذكر الا علوم الدين، قصرت عليها الهمم، ووقفت عندها المدارك، وتميزت بها حلقات الدروس. ثم اندرس الدين كغيره الا عند الخاصة، وقليل ما هم، فلم يبق الا التعصب يزداد عصرا بعد عصر وسنة بعد سنة» □

كيف يمكن ادارة الوقت الخاص بشكل أفضل

اعداد: الاستاذ سهيل فهد سلامة / الرياض

مقدمة:

إن ما يميز الوقت كعنصر نادر وثمين، هو توفره بشكل متساوٍ لجميع الأفراد او المنظمات على الرغم من الاختلافات الجوهرية بينهم. فالبعض يستغله بشكل جيد، والبعض الآخر يسيء استغلاله تماما. والواقع أن ادارة الوقت تمثل منهجا شاملا ومتكاملا لا يقبل أي تجزئة أو تقسيم، وبالتالي فان استغلاله يعني الاستغلال الكامل وليس الاستغلال الجزئي. وقد جاء تركيزنا في هذه الدراسة على ادارة الوقت الخاص ليس بدافع التجزئة أو التقسيم، ولكن من منطلق توازي الاهتمام بادارة الوقت الخاص وادارة وقت العمل، حيث أن كلاً منهما مكمل للآخر ومؤثر فيه ومتفاعل معه. فنجاح الاداري وفعاليته لا تقتصر على نجاحه وفعاليته في العمل فحسب، بل تتعداه الى خارج موقع العمل. ومن هذا المنطلق أصبحت ادارة الوقت الخاص احد المعايير الأساسية التي تؤخذ في الاعتبار في تحديد نجاح وفعالية الاداري بشكل عام.

واستنادا الى ذلك ستركز هذه الدراسة على تحديد مفهوم ادارة الوقت الخاص وتحليل العوامل المؤثرة على استغلاله، ومن ثم تقديم التوصيات العملية لاستغلاله بشكل أفضل.

ادارة الوقت الخاص:

يُعبر عن الوقت الخاص بتلك الفترة الزمنية المتاحة للشخص (الاداري) بعد انتهاء فترة عمله الرسمي اليومي، والتي يستطيع من خلالها أن يقوم بنشاطات متنوعة دون أية ضوابط أو تعليمات رقابية أو ادارية قد تفرض عليه نمطا سلوكيا معينا[1] وفي الغالب الأعم تتراوح الفترة الزمنية المحددة للعمل الرسمي اليومي ما بين ٧ـ٨ ساعات وعلى مدى خمسة أو ستة أيام في الأسبوع. وهذا يعني أن الوقت الخاص يعادل يوميا ما بين ١٦ الى ١٧ ساعة، بالاضافة الى أيام العطل والاجازات، وبالتالي فان الوقت الخاص يشكل تقريبا ثلثي الساعات المتاحة يوميا والبالغة ٢٤ ساعة.

من هنا تبدو أهمية ادارة الوقت الخاص نظرا لعدد الساعات المتاحة للانسان الاداري يوميا، وبالتالي فان سوء استغلال هذا الوقت سيؤثر سلبيا على جوانب عديدة في حياة الفرد. ونخص بالذكر الجوانب الهامة التالية:

- **على مستوى العمل الرسمي:** تعتبر كيفية استغلال الوقت الخاص جزءا من العوامل الخارجية المؤثرة على انتاجية ونفسية وعلاقات الاداري في العمل الرسمي. فعلى سبيل المثال تتأثر قدرة وفعالية الاداري بمدى تخصيصه جزءا من وقته الخاص للتنمية والتطوير الذاتي أو للاستجمام والراحة الجسدية والنفسية.
- **على المستوى الشخصي أو الذاتي:** فإن سوء استغلال الوقت الخاص يترتب عليه سلبيات ومشكلات عديدة صحية وفكرية ونفسية وغيرها.
- **على المستوى الجماعي:** ونخص بالذكر تأثير سوء استغلال الوقت الخاص على العلاقات الاجتماعية سواء على مستوى الفرد او الجماعات.
- **على المستوى الاجتماعي العام:** ان سوء استغلال الوقت الخاص لدى معظم الأفراد يولد دون شك سلبيات عديدة من أهمها سوء استغلال موارد المجتمع البشرية والمادية بالاضافة الى انتشار بعض العادات والظواهر السلبية في المجتمع كظاهرة الكسل وعدم تحمل المسئولية وضعف التثقيف العام والتفكك وغيرها.

تحليل الوقت الخاص:

يشكل الوقت الخاص، كما حددنا آنفا، حوالي ثلثي الوقت المتاح يوميا. ولو سأل الاداري نفسه كيف يقضي هذه الساعات الطويلة يوميا وعلى أي النشاطات يوزعها لكانت الاجابة على هذه الأسئلة بشكل غير دقيق، نظرا لاختلاف النشاطات التي يقوم بها الأفراد يوميا واختلاف اهدافهم وطموحاتهم وامكاناتهم، علاوة على بعض المؤثرات الخارجية التي قد تحد من سيطرة الشخص على هذا الوقت. وبشكل عام فان الجدول التالي سيوضح لنا كيفية توزيع الوقت الخاص على عدد من النشاطات الاساسية:

1. M. Douglass and P. Goodwin. Successful Time Management For Hospital Administration. AMACOM, N.Y.: 1980, PP. 115-116.

توزيع الوقت الخاص اليومي على النشاطات الاساسية والنسبة المئوية لها

نوع النشاط	عدد الساعات المخصصة يوميا	النسبة المئوية
الوقت المخصص للعمل الرسمي	٨ ساعات	٪٣٣
الوقت المخصص للنوم	٧ ساعات	٪٢٩,٢
الوقت المخصص للأكل	ساعتان	٪ ٨,٤
الوقت المخصص للتنقل	ساعتان	٪ ٨,٤
الوقت المخصص للتطوير الذاتي والترويح	ساعتان	٪ ٨,٤
الوقت المخصص للخدمات المنزلية	ساعة واحدة	٪ ٤,٢
الوقت المخصص لنشاطات غير محددة	ساعتان	٪ ٨,٤

* يمثل هذا الجدول تقدير الكاتب لكيفية توزيع الوقت اليومي الخاص.

إن تحديدنا لهذه النشاطات الاساسية بشكل عام، يعني وجود بعض الفروقات والاختلافات بين الأفراد، ولهذا فقد خصصنا جزءا من الوقت الخاص لنشاطات غير محددة وبمعدل ساعتين يوميا لاحتواء هذه الفروقات والاختلافات ويدخل في النشاطات غير المحددة العبادة لدى المسلمين بلا شك.

العوامل المؤثرة على توزيع واستغلال الوقت الخاص:

على الرغم من وجود اختلافات جوهرية بين الأفراد في كيفية توزيع واستغلال الوقت الخاص، فان هناك نشاطات يتساوى فيها الأفراد بشكل عام من ناحية نوعية النشاط أو نسبة الوقت المخصص له، كالوقت الذي يخصص للنوم أو الأكل. ولكن الاختلافات الواضحة تظهر في نشاطات أخرى مثل المتعة الشخصية، الزيارات، التنقل، التطوير الذاتي وغيرها. وتعود هذه الاختلافات الى عوامل عديدة من أهمها:

* **العوامل الشخصية:** وتشتمل هذه العوامل على الاختلافات الفردية من الناحية البيولوجية والامكانات والقدرات واختلاف السن والحالة الاجتماعية والجنس وغيرها. ومن الطبيعي أن يترتب على هذه الاختلافات الشخصية اختلافات في الأهداف والسلوكيات والاهتمامات، كالاختلاف بين صغار السن وكبار السن، المتزوجين والعزاب، الأناث والذكور.

* **العوامل الاقتصادية:** وتشمل الاختلافات الجوهرية في موارد الدخل للأفراد أو الأسر، وما يترتب على ذلك من اختلاف في القدرة الشرائية لهم وامكانية تحقيق الرغبات والاحتياجات المطلوبة.

* **العوامل التعليمية والثقافية:** وتشتمل هذه العوامل على الاختلافات الواضحة بين الأفراد في المستوى التعليمي والثقافي. ولهذا فقد يخصص الشخص المتعلم والمثقف جزءا أطول من وقته الخاص لأغراض المطالعة والتطوير الذاتي.

* **العوامل الاجتماعية:** وتشتمل هذه العوامل على الاختلافات الجوهرية في العادات والتقاليد والمعتقدات التي تسود في المجتمع. ولهذا يؤثر النظام الاجتماعي على كيفية توزيع واستغلال الوقت الخاص، وبالذات في مجال العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وما يتعلق بالزيارات الشخصية والمناسبات الرسمية وغير الرسمية.

* **العوامل الفنية:** وتشتمل هذه العوامل على الاختلافات الفردية المتعلقة بطبيعة التخصص الاكاديمي او الفني، بالاضافة الى نوعية العمل الذي يمارسه الشخص. فيلاحظ على سبيل المثال ارتفاع نسبة الوقت الخاص الذي يخصص لاغراض تطويرية وتنموية ذاتية لدى الافراد الذين يعملون في المؤسسات الاكاديمية ومراكز الأبحاث.

* **العوامل البيئية:** وتشتمل هذه العوامل على الاختلافات الواضحة للبيئة العامة وتأثيرها على كيفية توزيع واستغلال الوقت الخاص. كتوفر الاندية والمراكز الشبابية وامكانية وسهولة التنقل والسفر او التسوق وغيرها. ويمكن ملاحظة هذه العوامل بوضوح على مستوى البلد الواحد او بمقارنته ببلدان أخرى. ونظرا لأهمية هذه العوامل فاننا سنورد مقارنة سريعة في كيفية توزيع واستغلال الوقت الخاص بين وجهتي النظر العربية والغربية.

أ ـــ وجهة النظر الغربية في كيفية توزيع واستغلال الوقت الخاص:

لقد بيَّن الكاتب جاك فيرنر «Jack Ferner» كيفية توزيع الأفراد في الولايات المتحدة الامريكية وقتهم الخاص، كما هو في الجدول التالي[1]:

— Ferner, Jack. Successful Time Management. John Wiley and Sons, N.Y.: 1980.

توزيع الوقت الخاص للأفراد العاديين في الولايات المتحدة الامريكية

نوع النشاط	الساعات الاسبوعية	النسبة المئوية	الساعات اليومية
ساعات العمل الرسمي (خمسة أيام في الأسبوع)	٤٠ــ٥٠ (المعدل ٤٥ ساعة)	٪٢٦,٧	٦,٣
النوم	٤٩	٪٢٩,١	٧
الاكل	١٤	٪ ٨,٢	٢
ارتداء الملابس	٧	٪ ٤,١	١
التنقل للعمل (خمسة أيام في الأسبوع)	٥	٪ ٢,٩	٠,٧
الخدمات المنزلية	١٤	٪ ٨,٢	٢
الترفيه والقراءة والتطوير والهوايات	٣٠ــ٤٠	٪٢٠,٨	٥
	١٦٨	٪١٠٠	٢٤

توزيع الوقت الخاص للأفراد العاديين في البيئة العربية[1]

النشاط	الساعات الاسبوعية	النسبة المئوية	الساعات اليومية
ساعات العمل الرسمي (خمسة أيام في الأسبوع)	٤٠ــ٥٠ (المعدل ٤٥ ساعة)	٪٢٦,٧	٦,٣
النوم	٤٩	٪٢٩,١	٧
الاكل	٧	٪ ٤,٢	١
المواصلات (التنقل)	٧	٪ ٤,٢	١
العبادة	٧	٪ ٤,٢	١
رعاية شخصية وأمور العائلة	٢٨	٪ ١٦,٧	٤
التطوير الذاتي	٢١	٪١٢,٣	٣
ساعات حرة	٤	٪ ٢,٤	٠,٧
	١٦٨	٪١٠٠	٢٤

ب ــ وجهة النظر العربية في كيفية توزيع واستغلال الوقت الخاص:

لقد تم عرض وجهة النظر العربية في فيلم علمي حديث صدر عن الجامعة العربية، كما هي واضحة في الجدول التالي:

يبدو واضحا من خلال عرضنا لوجهتي النظر الغربية والعربية، بأن هناك أمورا مشتركة في النشاطات التي يقوم بها الأفراد، وفي حالات كثيرة تتساوى فيها عدد الساعات المخصصة لها كنشاطات العمل الرسمي أو النوم. ولكن يبدو الاختلاف واضحا في تخصيص وقت للعبادة في البيئة الاسلامية، في حين أن ذلك لم يكن واردا من وجهة النظر الغربية، بالاضافة الى ارتفاع نسبة الوقت المخصص للرعاية الشخصية والأمور العائلية في البيئة العربية عنها في البيئة الغربية، نظرا لما يتميز به المجتمع العربي من ترابط أسري كبير.

فعالية ادارة الوقت الخاص:

إن مضاعفات سوء استغلال الوقت الخاص، تفرض علينا العمل بصورة جادة لادارته واستغلاله بشكل أفضل. ونظرا لارتباط فعالية ادارة الوقت الخاص بالمفاهيم والقيم الشخصية، فانه من الصعوبة بمكان تحديد اطار خاص لكل فرد. ولهذا فاننا نقترح منهجا عاما لادارة الوقت الخاص، بحيث يمثل الاطار العام لأكبر عدد من الأفراد. ويتكون هذا المنهج المقترح من أربعة خطوات رئيسية هي:

١ ــ معرفة وتحديد الأهداف الشخصية:

تعتبر معرفة الأهداف الشخصية ضرورة أساسية لكافة الأفراد دون استثناء. ولسوء الحظ، فان البعض يجهلها والبعض الآخر لم يفكر بها ولم يعرها أدنى اهتمام. والواقع

١ ــ جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للعلوم الادارية، ادارة الوقت (فيلم علمي) اعداد د. لؤي القاضي ونبيل صوالحة.

ان فائدة معرفة الأهداف الشخصية لا تقتصر على فاعلية ادارة الوقت الخاص، بل تتعداها الى فاعلية ادارة وقت العمل. ومن هذا المنطلق تركز مفاهيم الادارة الحديثة على توفيق الفرد بين أهدافه الشخصية وأهداف المنظمة التي يعمل بها، وذلك لتحقيق الايجابيات العديدة على مستوى الانتاجية والسلوكيات والعلاقات وغيرها[1]. أما على مستوى فاعلية ادارة الوقت الخاص، فإن معرفة وتحديد الأهداف الشخصية يساعد بشكل كبير على وضع الخطط العملية الكفيلة بتحقيق الأهداف القصيرة او الطويلة الأجل. وبشكل عام يمكن تصنيف الأهداف الشخصية التي يسعى الانسان العادي لتحقيقها في المجالات التالية[2].

أ ــ الأهداف الجسدية او الجسمية، والتي تتعلق بتحقيق وضع جسمي سليم ومعافى خال من الأمراض الخطيرة أو الكبيرة.

ب ــ الأهداف العاطفية، وهذه ترتبط بتحقيق التوازن العاطفي والنفسي، وقدرة على السيطرة على المؤثرات الخارجية التي تسبب الازعاج والتوتر والاحباط.

ج ــ الأهداف الذهنية او الفكرية والتي تتعلق بتحقيق التطور من خلال الانتاج الذهني والعقلي والاستفادة من الآراء والمعلومات الجديدة والموضوعية والابتعاد عن التعصب والجمود الفكري.

د ــ الاهداف التخصصية، والتي تتعلق بالمجال التخصصي الذي يعمل به الشخص، ومدى حبه له ورغبته فيه، بالاضافة الى مدى توفر الشعور بالأمان الوظيفي وفرص التقدم والترقية.

هـ ــ الأهداف الاجتماعية، والتي تتعلق بتحقيق الارتباط والتقبل الاجتماعي للفرد مع المجتمع الصغير والمجتمع الكبير الذي يعيش فيه، ومدى التأقلم والتكيف مع المتغيرات الاجتماعية المختلفة.

و ــ الأهداف الروحية والاخلاقية، والتي تتعلق بتحقيق السلوكيات الذاتية الايجابية، كالمحبة والتعاون والأمان والصدق وغيرها من الصفات الأخرى.

٢ ــ تحديد الأنشطة وأولويتها:

إن معرفة الأهداف التي يسعى الانسان الى تحقيقها، تساعد دون شك على تحديد الأساليب والطرق المناسبة لذلك، سواء من خلال النشاطات الفردية او الجماعية للفرد، وبالاضافة الى ذلك فانها تساعد على تحديد أولوية هذه النشاطات التي يفترض ان يقوم بها الفرد لتحقيق الأهداف الأكثر أهمية وإشباع الحاجات الأكثر إلحاحا.

٣ ــ تحديد الفترة الزمنية لهذه الانشطة:

تهدف هذه الخطوة الى التنظيم والسيطرة الجيدة على الوقت الخاص، وذلك من خلال تحديد الفترة الزمنية لأي من هذه الأنشطة. والحقيقة أنه لا يمكن الاكتفاء بعملية التحديد الزمني للنشاط، اذا لم يتبعها التزام وانضباط ذاتي من الفرد. ونظرا لعدم قدرة الانسان على التحكم تماما بنوعية النشاطات أو مواعيد انجازها نتيجة لأمور طارئة او مفاجئة، فان ذلك يقلل من قدرة الفرد على التحكم والسيطرة على الوقت الخاص.

٤ ــ التقيم والمتابعة المستمرة.

تتمثل هذه الخطوة في مراجعة الفرد المستمرة للأهداف التي يسعى لتحقيقها، وتقييم النشاطات اليومية أو الأسبوعية أو الشهرية التي قام بها سابقا ومدى ملاءمتها والمشكلات التي اعترضت تحقيق الأهداف، وبشكل خاص التعرف الى مسببات الأوضاع الطارئة والتي تؤثر سلبيا على فاعلية ادارة الوقت الخاص، ومحاولة معالجتها وتلافيها مستقبلا اذا كان ذلك ممكنا[3].

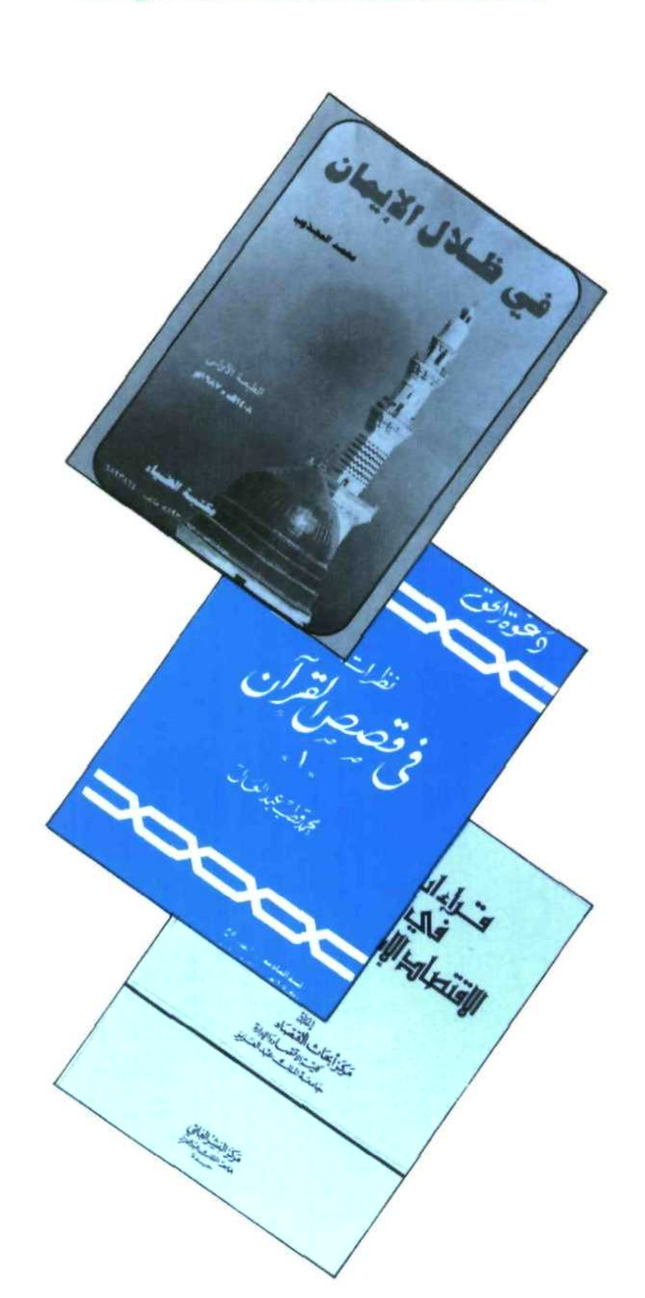
إن تطبيق هذا المنهج ليس صعبا، ولكنه يحتاج في البداية الى شيء من الصبر والمتابعة المستمرة. وتجدر الاشارة هنا الى أن أكبر معوق لتطبيق هذا المنهج هو ما يسمى بالعادة (Habit) بمعنى تعوّد الشخص على نمط سلوكي أو معيشي معين، بحيث يصعب تغييره الى نمط سلوكي آخر. ومن المعروف أن التغير بشكل عام يعد من الأمور الصعبة والتي تحتاج من الفرد الى وقت وجهد وتصميم وارادة قوية تتقبل التغيير. وحتى نوفر ذلك يمكن للشخص ان يحقق نتائج ايجابية كبيرة على كافة المستويات سواء منها الشخصية أو الوظيفية.

الخاتمة:

أكدنا في هذه الدراسة على أهمية ادارة الوقت الخاص، وذلك من منطلق الحرص الذاتي لاستغلال أهم العناصر النادرة والثمينة المتاحة للانسان. وهذا بالطبع لا يقلل من أهمية ادارة وقت العمل، بل العكس، فان لكل منهما تأثيرا وانعكاسا مباشرا على الآخر. ولهذا أوضحنا في هذه الدراسة الجوانب السلبية التي قد تنجم عن سوء استغلال الوقت الخاص، بالاضافة الى ابراز العوامل المؤثرة على توزيعه واستغلاله، وبشكل محدد تأثير العوامل البيئية من خلال توضيح وجهتي النظر العربية والغربية في استغلال الوقت الخاص، في سبيل تقديم المنهج المقترح لزيادة فاعلية الشخص في استغلال وقته الخاص، ووصولا الى الأهداف والغايات الشخصية التي يسعى لتحقيقها في المستقبل□

1. A. Elkins. Management. Addision. Wesley Co., Mass: 1980, PP. 176-178.
2. Jack Ferner. Op. Cit., PP. 53-56.
3. William R. Osgood, Basics of Successful Business Management, AMACOM, N.Y.: 1981, PP. 37-49/PP. 37-49.

كتب مهداة

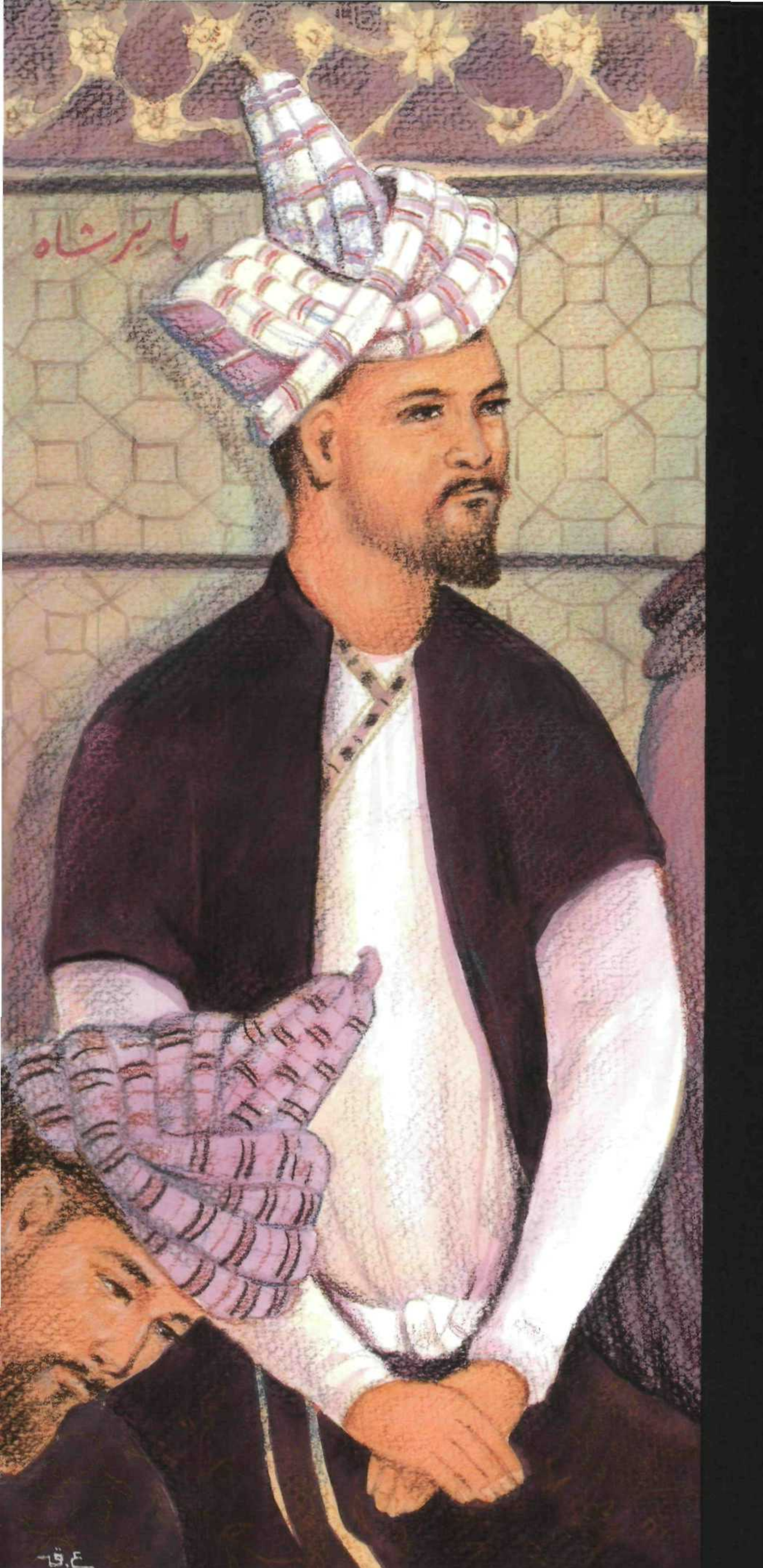


* حظيت مكتبة القافلة بكتابين قيمين للاستاذ محمد المجذوب، أولهما «في ظلال الايمان» وهو عبارة عن مجموعة مقالات، نشر بعضها في الصحف والمجلات، والبعض الآخر لم ينشر، تتحدث عن كل ما يهم الانسان المسلم والعائلة المسلمة من صلاح امور حياتهم ومماتهم. بالاضافة الى تأملات في بعض أمثال القرآن الكريم، وملامح باهرة من حياة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وبعض المواقف والمشاهد الاجتماعية. والكتاب يقع في اكثر من ٣٠٠ صفحة في طبعته الأولى لعام ١٤٠٨هـ.

أما الكتاب الثاني فبعنوان «من وحي الاحداث» يحكي بعض المآسي والهزائم التي تتعرض لها الأمة الاسلامية من أعدائها الحاقدين على الاسلام والمسلمين. والكتاب يقع في ١٤٧ صفحة من الحجم المتوسط. والكتابان صدرا عن مكتبة الضياء بجدة.

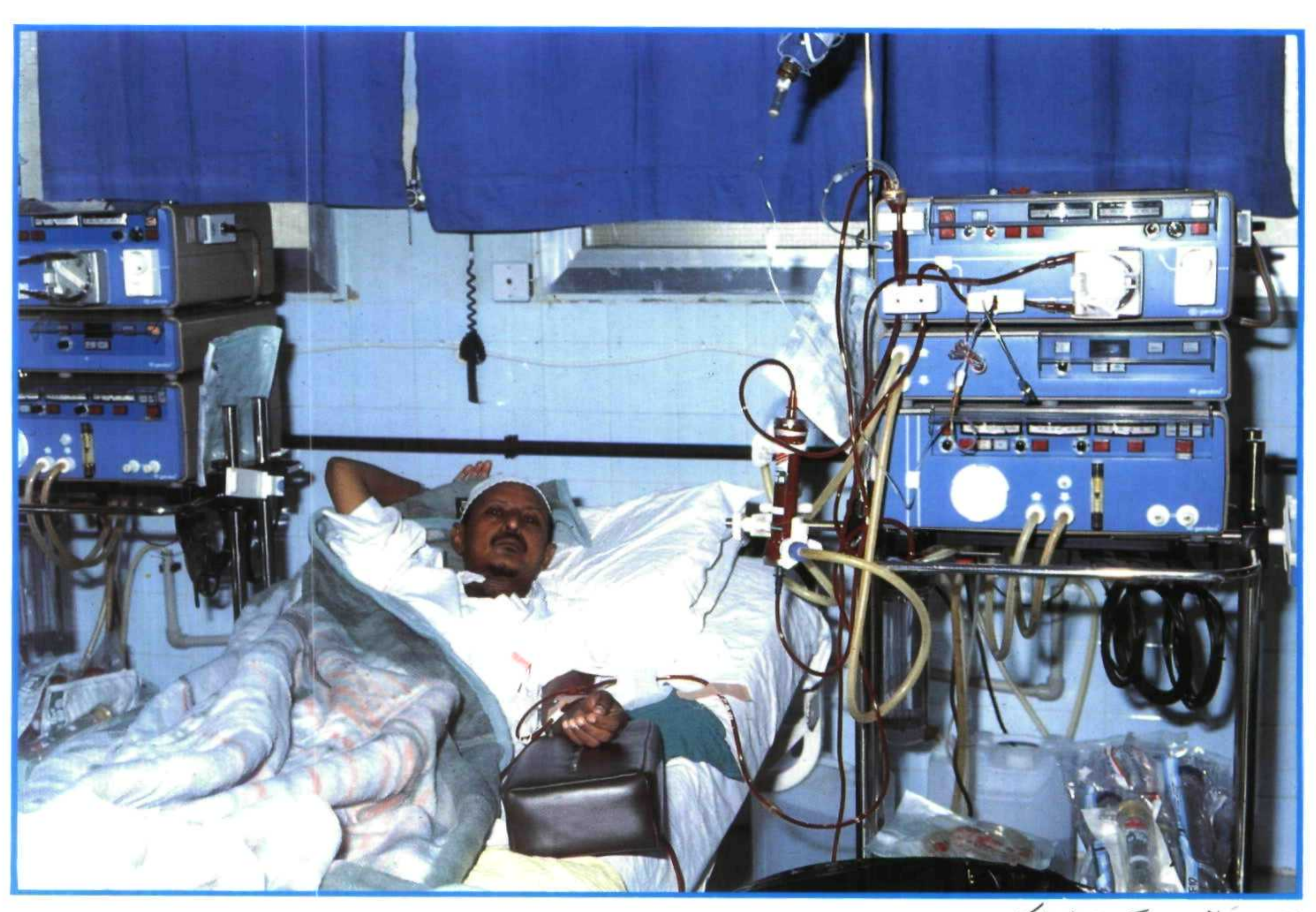
* «نظرات من قصص القرآن ــ ١» للاستاذ محمد قطب عبدالعال، نشرته ادارة الصحافة والنشر برابطة العالم الاسلامي، ضمن سلسلتها الشهرية «دعوة الحق». وهذا الكتاب يمثل دراسة لابراز جانب الفن في القصة القرآنية لتقديم العقيدة الى الناس والدعوة اليها. وقد ذيل الكتاب، الذي ضم نحو ١٦٩ صفحة، بقائمة بأسماء المراجع التي اعتمدها المؤلف.

* أعد مركز أبحاث الاقتصاد الاسلامي بكلية الاقتصاد والادارة في جامعة الملك عبدالعزيز «قراءات في الاقتصاد الاسلامي»، وهي عبارة عن بحوث اقتصادية اسلامية اعدها نخبة من الدكاترة والاساتذة بالمركز. وشملت البحوث مفاهيم ومرتكزات وتنمية الاقتصاد الاسلامي، ودور الزكاة في علاج المشكلات الاقتصادية ولمحات عن النقود والمصارف الاسلامية والسياسات النقدية، وسلوك المنشآة الاسلامية، وغير ذلك من الشؤون الاقتصادية. وختم الكتاب بجميع مراجع البحوث.



ـلطان المغولي الأول ظهير الدين محمد بابر

ـع مقال: «مدينة الفتح الإسلامي في سيكري»



راجع مقال: « المركز الوطني للكلى »